

البابا شنودة الثالث

تأملات في حياة دراو النبي

لوندري



مادلست

الكتاب سنوہ الثالث

تأملات فی حیاة
داود النبى والملاک

**Contemplations on The Life
Of David The Prophet & King**

5th print

July 2010

Cairo

الطبعة الخامسة

يوليو ٢٠١٠

القاهرة

الكتاب : تأملات في حياة داود النبي
المؤلف : قداسة البابا المعظم الأنبا شنودة الثالث
الناشر : الكلية الإكليريكية بالقاهرة .
المطبعة : الأنبا رويس الأوفست - الكاتدرائية العباسية - القاهرة
رقم الإيداع بدار الكتب : ٢٠٠٣/٨٤٩١
I.S.B.N. 977- 5345- 72- 3



مثلث الطوبى قداسة البابا شنوده الثالث
بابا الكسندرية وبطريك الكرازة المرقسية الـ ١١٧

مقدمة الكتاب

فى تأملاتى فى العهد القديم، كان من أحب الشخصيات إلى قلبى، وأكثرها تأثيراً فى نفسى، داود النبى والملك: فى رفته وشاعريته، وفى شجاعته وبسلته، وفى نبلة ومثاليته، وفى بعض عباراته المأثورة، وفى مزاميره وصلواته، وفى علاقته بالله وعلاقة الله به، وفى قصة حياته وما تحوى من أحداث..

وقد كان موضوعاً لبعض عظاتى فى الكاتدرائية المرقسية الكبرى بالقاهرة فى سنة ١٩٧٠م، وكنت أتحدث عنه بكل عواطفى وانفعالاتى وتأثرى.. وهأنذا أقدم سيرته لكم بعد ٣٣ عاماً، من واقع تلك العظات وما أضفته عليها..

أقدم لكم هذا الإنسان النادر، فى مواهبه المتعددة، وفى شخصيته الجامعة للكثير من الصفات والعواطف، وفى أهم مواقفه التى سجلها له التاريخ فى شتى علاقته الإنسانية..

وقد عرضت سيرته فى هذا الكتاب فى سبعة أبواب:

شخصية داود فى صباه - داود ومواجهته لجليات - داود ومطاردة شاول الملك له، مع مقارنة بين نبل داود وغدر شاول - داود ومحبه لأعدائه وبكفته عند موتهم - ثم ما وقع فيه هذا القديس من خطايا، وعمق توبته. وتحدث عن السنوات الأخيرة لداود، وما تم فيها من أحداث جسام، منها تعيينه لسليمان ابنه خليفة له. وأخيراً فصل كبير عن مزامير داود.. وبعض كلماته المأثورة.

أرجو أيها القارئ العزيز، أن يصاحبك روح الله فى قراءة هذا الكتاب..

البابا شنوده الثالث

ختام الأربعين المقدسة (أبريل ٢٠٠٣)



البَابُ الْأَوَّلُ

تَحْصِيَةُ دُرَرٍ وَرَجَبِيَّاهُ

داود النبي

مواهب متعددة
تبدو مختلفة !

داود النبي شخصيته عجيبة، متكاملة في صفاتها، وفي الأدوار التي قام بها في حياته: فهو الراعي، وهو الملك المتوج، وهو رب الأسرة: الزوج والأب. وهو العازف على العود، والعابد الساهر بتلو مزاميره. وهو القائد الشجاع، وهو النبي.

✱ ✱ ✱

كانت له رقة المشاعر والموسيقى، وشجاعة وجسارة رجل الحرب. كان شاعراً رقيقاً جداً، وموسيقياً. يقول الشعر على المزمار، ويعزف على القيثارة، وعلى العشرة الأوتار. ويحسن الضرب على العود (اصم ١٦: ١٦، ٢٣). وفي نفس الوقت كان رجلاً من رجال السيف، يقود الجيش ويحارب وينتصر. وكان جبار بأس (اصم ١٦: ١٨)، استطاع أن يقف أمام جليات، ويهزمه بحصاه من مقلعه. وله الجسارة التي يقطع بها رأس ذلك الجبار. فتهتف النسوة معجبات بانتصاره (اصم ١٨: ٧).

✱ ✱ ✱

كان طيب القلب جداً، وحازماً وعنيفاً في مناسبات أخرى. كان مملوءاً بالعاطفة الرقيقة، كما يظهر في صداقته مع يوناتان، وقوله في رثائه "قد تضايقت عليك يا أخي يوناتان. كنت حلواً لي جداً. محبتك لي أعجب من محبة النساء" (٢ صم ١: ٢٦).

وعلى الجانب الآخر كان حازماً جداً وعنيفاً، كما يبدو من موقفه تجاه نابال الكرملی. إذ قال داود لرجاله "ليقتل كل واحد منكم سيفه"، وتقلد هو أيضاً سيفه. وقال "هكذا يصنع الله

لداود وهكذا يزيد، إن أبقيت من كل ماله إلى الصباح بائلاً بحائط" (اصم ٢٥: ١٣، ٢٢).

✱ ✱ ✱

كان يتصف بالبساطة، وأيضاً بالهيبة .

له البساطة التي يرقص بها أمام تابوت عهد الله، فرحاً بالرب (اصم ٢: ١٦). كما كانت له الهيبة التي يجلس بها على العرش، ويسجد كثيرون عند قدميه. قيل عن ناثان النبي إنه "دخل إلى أمام الملك (داود) وسجد للملك على وجهه إلى الأرض" (امل ١: ٢٣). وسجد له أرونه اليبوسى (اصم ٢٤: ٢٠). وسجد له أخيمعص بن صادوق الكاهن (اصم ١٨: ٢٢). وسجدت له إيجاييل (اصم ٢٥: ٢٣). وسجد له مفيوشث بن يوناثان (اصم ٩: ٦، ٨). وسجدت له زوجته بثشبع (امل ١: ١٦، ٣١).. وآخرون. وكانوا ينادونه "سيدى".

✱ ✱ ✱

كانت له أوقات فرح، وأوقات بكاء .

كان يفرح بالرب. وما أكثر عبارات الفرح والابتهاج في مزاميره. يقول "أحمد الرب بكل قلبي. أحدث بجميع عجائبك. أفرح وأبتهج بك. أرسم لإسمك أيها العلى" (مز ٩: ١، ٢). "أما أنا فعلى الرب توكلت. أبتهج وأفرح برحمتك" (مز ٣١: ٦، ٧). "أغنى للرب في حياتي. أرسم لإلهي مادمت موجوداً. فيلذ له نشيدى، وأنا أفرح بالرب" (مز ١٠٤: ٣٣، ٣٤). "أما نفسي فتفرح بالرب وتبتهج بخلصه" (مز ٣٥: ٩). ويقول أيضاً " فرحت بالقائلين لى: إلى بيت الرب نذهب " (مز ١٢٣: ١).

وإلى جوار ذلك يقول فى المزمور السادس " تعبت فى تنهدى. أعوم فى كل ليلة سريرى. بدموعى أبل فراشى" (مز ٦: ٦). ويقول أيضاً " صارت دموعى لى خبزاً، نهراً وليلاً " (مز ٤٢: ٣) " قد أكلت الرماد مثل الخبز، ومزجت شرابى بالدموع " (مز ١٠٢: ٩). ويقول للرب "أصغ إلى صراخى. لا تسكت عن دموعى" (مز ٣٩: ١٢).

✱ ✱ ✱

داود له حنو الأب، وله حزم الزوج .

حنو الأب الذى بكى على أبشالوم إنه الخائن لما سمع بموته. فكان يبكى ويقول "يا إبنى أبشالوم يا إبنى، يا إبنى أبشالوم. ليتنى مت عوضاً عنك يا أبشالوم إبنى، يا إبنى" (اصم ١٨: ٣٣) .

وكان له الحزم الذى ردّ به على زوجته ميكال التى وبخته على رقصه أمام التابوت.

فقال لها " إنما أمام الرب الذى أختارنى دون أبيك ودون كل بيته، ليقمنى رئيساً على شعب الرب إسرائيل، فلعبت أمام الرب. وإنى أتصاغر دون ذلك .. وأما عند الإماء التى ذكرت فأتجد " (٢صم ٦: ٢١، ٢٢).

✠ ✠ ✠

له الوداعة والإتضاع. وله العزة والجبروت .

الوداعة التى يقول فيها المزمور "اذكر يارب داود وكل دعتة.." (مز ١٣٢: ١)، والتى كان بها يخرج ويدخل أمام الشعب، وهو قائد للجيش، فأحبوه (١صم ١٨: ١٦) . وكان له التواضع، إذ وهو ممسوح ملكاً يقول لشاول الملك "وراء من أنت مطارد؟! وراء كلب ميت، وراء برغوث واحد" (١صم ٢٤: ١٤). وكرر نفس الوصف فى (١صم ٢٦: ٢٠). وقبل ذلك لما أرسل شاول عبده ليتكلموا مع داود فى شأن مصاهرته، ردّ عليهم قائلاً "هل هو مستخف فى أعينكم مصاهرة الملك، وأنا رجل مسكين وحقير؟! " (١صم ١٨: ٢٣).

أما عن العزة والجبروت، فتظهر فى حديثه مع جليات الجبار بقوله "اليوم يحبسك الرب فى يدي، فأقتلك" "أنت تأتى إلى بسيف وبرمح وبترس، وأنا آتى إليك باسم رب الجنود" (١صم ١٧: ٤٦، ٤٥) وكذلك قول داود لشاول الملك "قتل عبدك الأسد والدب جميعاً. وهذا الأغلف يكون كواحد منهما" (١صم ١٧: ٣٦). وقوله أيضاً للملك لا يسقط قلب أحد بسببه. عبدك يذهب ويحاربه (١صم ١٧: ٣٢).

✠ ✠ ✠

والجميل أيضاً فى حياة داود، إنه - على الرغم من مسحته - كان إنساناً طبيعياً مثلنا. إنسان يخطئ كما نخطئ، ويتوب مثلما نتوب.. ! هو قمة عالية فى القداسة والحكمة. ولكنه أيضاً يمكن أن ينفعل ويعزم على الانتقام، وتوبخه امرأة مثل أبيجايل وتمنعه عن الانتقام لنفسه، حتى يقول لها "مبارك عقلك، ومباركة أنت، لأنك منعتنى من إتيان الدماء وإنتقام يدي لنفسى" (١صم ٢٥: ٣٣) .

ومعروفة خطيئته مع بثشبع، وتدابيره لقتل زوجها أوريا الحثي (٢صم ١١). ومعروفة أيضاً توبة داود العميقة، وإنسحاق قلبه بسبب هذه الخطيئة، وقبول الله لتوبته (٢صم ١٢: ١٣).

✠ ✠ ✠

إنه إنسان رضى الرب عليه جداً. وهو أيضاً إنسان عاقبه الرب.

إنسان أختاره الرب ملكاً، وصار مسيحاً للرب، "وحل عليه روح الرب من ذلك اليوم فصاعداً" (اصم ١٦: ١٣). وقيل إن قلبه كان كاملاً مع الرب (امل ١١: ٤). ومن أجل داود تراءف الرب على سليمان ابنه (امل ١١: ١٣-١١). بل أكثر من هذا أتى السيد المسيح من نسله. وقيل في سلسلة أنسابه "يسوع المسيح ابن داود ابن إبراهيم" (مت ١: ١) وفي نفس الوقت عاقب الرب داود أكثر من مرة. وقال له ناثان النبي - من فم الرب - "والآن لا يفارق السيف بيتك إلى الأبد.." (٢صم ١٢: ١٠). ومنعه الرب من بناء الهيكل (امل ٢٢: ٨).

والآن لندخل في تفاصيل حياة داود .

الرَّاعِي الشَّجَاع

قصة داود النبي، تبدأ بعمله، كصبي صغير "كان غلاماً أشقر جميل المنظر" (اصم ١٧: ٤٢). وتكرر وصفه بالجمال في (اصم ١٦: ١٨). وقيل عنه أيضاً إنه "كان أشقر مع حلاوة العينين وحسن المنظر" (اصم ١٦: ١٢) .

وما أكثر رجال الرب الذين وصفوا بالجمال .

قيل عن يوسف الصديق إنه كان "حسن المنظر" (تك ٣٩: ٦) "وكان الرب مع يوسف، فكان رجلاً ناجحاً.. وكل ما كان يصنع، كان الرب ينجحه بيده" (تك ٣٩: ٢، ٣). وقيل عن موسى "ولد موسى وكان جميلاً جداً" (أع ٧: ٢٠) (عب ١١: ٢٣) (خر ٢: ٢). وكان الرب مع موسى حتى قال عنه "هو أمين في كل بيتي. فما إلى فم وعياناً أتكلم معه" (عد ١٢: ٧، ٨)

وهكذا قيل أيضاً عن داود إنه كان جميلاً. وقيل أيضاً "وكان داود مفلحاً في جميع طرقه، والرب معه" (اصم ١٨: ١٤). الكنيسة قيل عنها أيضاً في سفر النشيد إنها جميلة (نش ٤: ١).



وأيضاً ما أكثر الذين أعدّهم الله لخدمته، برعى الغنم .

من أمثلتهم موسى النبي. كان رجلاً من كبار رجال البلاط عند فرعون، وكان قائداً جباراً وقوياً. ولكن غيرته المقدسة صحبتها القسوة، فقتل إنساناً (خر ٢: ١٢). وحينئذ

أخذه الرب إلى مديان، ودرّبه على الهدوء والحنو، برعى الغنم. ثم استخدمه الله بعد ذلك وائتمنه على رعاية شعبه.



موسى تدرب أربعين سنة فى رعى للغنم. أما داود فلم تلزمه مدة طويلة مثل هذه .
ذلك لأنه كان يرعى الغنم منذ صباه. ولعل أسعد الأغنام كانت غنم داود، التى كان يرعاها وهو يغنى بمزماره. فتمتع برعايته وموسيقاه وأغانيه. وهكذا فيما بعد حينما كبر، استطاع أن يلَقَب الله بالراعى. وقال "الرب يرعانى فلا يعوزنى شئ. فى مراعى خضر يربضنى. إلى ماء الراحة يوربنى. يرد نفسى. يهدينى إلى سبل البر" (مز ٢٣). لقد أخذ هذه الأوصاف من خبرته الروحية وخبرته الرعوية..



وبقدر ما كان حنوناً على غنمه، كان أيضاً شجاعاً قوياً فى حمايتها .

إنه يصف ذلك فى حديثه مع شاول الملك، فيقول "كان عبدك يرعى لأبيه غنماً. فجاء أسد مع دب، وأخذ شاة من القطيع. فخرجت وراءه وقتلته، وأنقذتها من فيه.. ولما قام على، أمسكته من نقه وضربته فقتلته. قتل عبدك الأسد والدب جميعاً" (١ صم ١٧ : ٣٤ - ٣٦).

إنى أعجب من هذا الفتى الصغير الجميل، كيف أنه لم يخف من الأسد والدب، ولم يهرب بل واجههما، وأنقذ الشاة من فم الأسد. وكان قوياً بحيث قتلها، ولم يكن لديه سلاح. إنه يذكرنا بالرب "الراعى الصالح الذى يبذل نفسه عن الخراف" (يو ١٠ : ١١).
هنا القلب المملوء بالحب والبذل، الذى يختاره الرب لرعاية شعبه، والإهتمام بهم. الذى يشفق على الشاة، وينزعها من فم الأسد.



داود يمثل النضوج المبكر، فاختره الرب من صغره .

يذكرنى بالقديس أنثاسيوس الرسولى فى نضوجه المبكر. وكيف كان وهو بعد شاب يقود المجمع المسكونى لاهوتياً. بل قبل المجمع أصدر كتابيه "تجسد الكلمة" و"الرسالة ضد الوثنيين". وكان أصغر بابا للأقباط يجلس على كرسي مارمرقس الرسول.

وقصص النضوج المبكر كثيرة، نذكر من بينها القديس تادرس تلميذ باخوميوس، والأنبا ميصائيل السائح، والقديس الأنبا شنوده رئيس المتوحدين، والقديس الطفل أبانوب وغيرهم. وداود أيضاً الذى كان ناضجاً فى الشعر، وفى الموسيقى والغناء، وفى الشجاعة

والجسارة، وفي الحكمة كما سنرى، وفي تواضع القلب أيضاً ...

✱ ✱ ✱

وللأسف الشديد لم ينل نضوجه تقديراً من أبيه !!

يأتى النبی العظیم صموئیل إلى بیت لحم، ويقدم نبيحة. ويدعى كل أبناء يسي البيت لحمى السبعة الكبار لحضور هذه المناسبة الفريدة التى ربما فى نظر أهل القرية لا تتكرر.. ولكن داود يبقى مع الغنيمات القليلات فى البرية، ويحرم من بركة تلك المناسبة.

أهمله أبوه ونسيه. ولكن الله لم يشأ أن يهمله أو ينساه ...

وقف أخوته السبعة الكبار أمام الرب، فلم يختار واحداً منهم. وقف اليأب أمام الرب .. ولكن الله قال عنه لصموئيل النبی " لا تنتظر إلى منظره وطول قامته، لأنى قد رفضته" (اصم ١٦ : ٧). وعبروا باقى الأخوة السبعة أمام الرب، وكان الحكم الإلهى على كل منهم " وهذا أيضاً لم يختره الرب " (اصم ١٦ : ٨، ٩، ١٠).

ما أصعب هذا الأمر : أن يقف إنسان أمام الرب، فيرفض الرب اختياره، أو يقول قد رفضته.

دَاوُد مَسِيحُ الرَّبِّ

كل هذا وداود مع الغنم، والرب مع داود، نعم، الرب الذى "ينظر إلى القلب" (اصم ١٦ : ٧). ويسأل صموئيل "وهل كمل الغلمان؟" ويسمع إجابة أبيهم يسي "بقى بعد الصغير، وهوذا يرعى الغنم" (اصم ١٦ : ١١).. بقى هذا "الحجر الذى رفضه البناعون، وسيصير رأساً للزاوية" (مز ١١٨ : ٢٢) ويصبح رمزاً للمسيح الملك.. فأتوا به. "ومسحه صموئيل ملكاً وسط أخوته. وحلّ روح الرب على داود من ذلك اليوم فصاعداً" (اصم ١٦ : ١٣).

✱ ✱ ✱

هذه المسحة المقدسة لم يسع إليها داود، لكن هى التى سعت إليه.

حقاً "ليس لمن يشاء، ولا لمن يسعى" (رو ٩ : ١٦). أتته الدعوة بدون ترقب، كما أتت لأبينا إبراهيم (تك ١٢ : ١). وكما أتت موسى النبی، وهو يرعى غنم حميه يثرون عند جبل حوريب (خر ٣ : ١ - ٦). وكما دعا الرب شاول الطرسوسى وهو فى بطن أمه (غل ١ : ١٥، ١٦).

✱ ✱ ✱

صار داود مسيحاً للرب، وملكاً. ولم يأخذ من الملك شيئاً !!

مسحه صموئيل، ثم قام وذهب إلى الرامة (اصم ١٦ : ١٤). ولم يسلمه من الملك شيئاً. وعاد داود (الملك) ليرعى الغنيمات القليلات في البرية كما كان ..! صار ملكاً أمام الله، في تدبير الله. أما أمام الناس، فهو مجرد الراعى الصغير ...! وداود الوديع لم يطالب بشئ. ولم يقل لله : كيف صيرتني ملكاً بدون مملكة ؟! بل كان لا يزال في قلبه يعتبر أن شاول هو الملك الحقيقي، ويقول له سيدي، ويقول له عن نفسه : عبدك !

مَلِكٌ إِخْتَارَهُ اللّٰهُ يَخْدُمُ مَلِكاً رَفَضَهُ اللّٰهُ

شاول الملك كان قد رفضه الرب. وندم الرب لأنه ملك شاول على إسرائيل (اصم ١٥ : ٣٥) ولما ناح عليه صموئيل النبي، قال له الرب " حتى متى تتوح على شاول وأنا قد رفضته " (اصم ١٦ : ١). بل قيل أكثر من هذا " وفارق روح الرب شاول، وبغته روح ردئ من قبل الرب " (اصم ١٦ : ١٤). وحينما كان يضغط عليه هذا الروح الردئ، كان يهيج ويتعب ويحتاج إلى تهدئة .

وأصبح هناك مكان : شاول المرفوض، صاحب السلطة ..
وداود المختار من الرب، ولا يزال ملكاً بدون مملكة .

✱ ✱ ✱

وتزداد المأساة، فيختارون داود ليكون خادماً لشاول الذي رفضه الرب!

لتهدئة شاول - في هياجه من الروح الردئ - احتاجوا إلى رجل يحسن الضرب على العود. وحاشية الملك شاول رشحت له داود وقالوا عنه إنه "يحسن الضرب على العود، وهو جبار بأس، ورجل حرب، وفصيح، ورجل جميل، والرب معه" (اصم ١٦ : ٢١) .
ولم يكن شاول يعلم أن داود قد مسح صموئيل ملكاً، وإلا كان قتله.

وربما كان قد قتل صموئيل أيضاً. وقد شهد صموئيل بهذا في قوله للرب "إن سمع شاول يقتلني" (اصم ١٦ : ٢). على أية الحالات، ما كان شاول يعرف بمسح داود ملكاً، وما كان داود يتحدث عن هذا الأمر، ولا أحد من أسرته. واستمر يخدم شاول في هدوء.

✱ ✱ ✱

وفى هذا الموقف، نرى مفارقات عجيبة :

داود مسيح الرب المختار من الرب، يخدم شاول المرفوض من الرب.
داود الذى حل عليه روح الرب، يخدم شاول الذى فارقه روح الرب.
داود الإنسان الروحانى، رجل المزامير والصلوات، يخدم شاول الذى بغته روح ردئ
وكان يتعبه ويهيجه.

وقبل داود هذا الوضع. ربما إنسان يقول "أنا مستعد أن أخدم القديسين. ولكن لا أخدم
إنساناً عليه روح ردئ. ولكن داود قبل ذلك. ولم تكن مهمة سهلة..

✠ ✠ ✠

واجتاز داود هذه العثرة: أن يرى مسيح الرب عليه شيطان.

وظل على إحترامه له طول حياته، كمسيح للرب. ولم يخاطبه إلا بعبارة سيدى..
كان داود يحترم هذه المسحة المقدسة وصاحبها، مهما كان شريراً!! إنه مثال لاحترام
الكبار والمسحاء مهما كانت طباعهم رديئة. واستمر كذلك فى كل معاداة شاول له.. كان
من خلقه احترام الرؤساء أياً كانوا، حتى وهو يرى شاول فى أسوأ حالاته..!

✠ ✠ ✠

ولكن كيف كان يهدئ شاول كلما بغته الروح الردئ .

هل كان ذلك بالضرب على العود؟ كما قيل "عندما جاء الروح من قبل الله على
شاول، أن داود أخذ العود وضرب بيده، فكان شاول يرتاح ويطيب، ويذهب عنه الروح
الردئ" (١صم ١٦ : ٢٣) ولكن يخيّل إلى أن العود كان مجرد مظهر خارجى لسرّ أعمق
بكثير: فما هو؟

لم يكن سرّ القوة فى العود، إنما فى داود.

إن عصا أليشع فى يد جيحزى لم تأت بنتيجة (٢مل ٤ : ٣١). إن قوتها تظهر حينما
يمسكها أليشع، بالإيمان الذى فى قلبه. ونفس الوضع نقوله مع عود داود. كانت الأهمية
فى داود نفسه الذى يضرب على العود. وأى داود نعنى؟ إنما نعنى داود الذى حلّ عليه
روح الرب. وكيف نفسّر ذلك؟

✠ ✠ ✠

شاول كان قد بغته روح ردئ من قبل الرب، أى أخذ من الرب سلطاناً عليه. فمن
يستطيع إذن أن ينجيه منه؟! لا يستطيع ذلك إلا شخص حل عليه روح الرب، وهو داود.

يقف داود الذى فيه روح الرب بين شاول وغضب الله عليه. يراه الروح الردى فيهرب. ويراه الرب فيرضى ويرفع غضبه عن شاول، فيهدأ.

وحقاً قيل عن علاقة داود بشاول إنه كان له "حامل سلاح" (اصم ١٦: ٢١).

كان له حامل سلاح الروح الذى يهرب منه الروح الردى.

شاول الملك لما فارقه روح الله، أصبح شخصاً ضعيفاً يقوى عليه الروح الردى.

فارقته قوة المسحة. وأصبح مسيحاً للرب بلا مسحة!!

✱ ✱ ✱

كان شاول ملكاً بلا مسحة، بينما كان داود مسيحاً بلا ملك.

كان له المظهر الخارجى كملك. ولكن الله ليس معه. أما داود فكان الله معه، وأمام الله

كان هو الملك الحقيقى المختار من الله. إنما ليس له المظهر الخارجى للملك. كان يكفيه

من الملك أن يملك الله على قلبه. أما شاول فكان ملكاً على الشعب، ولا علاقة له بملكوت الله.

كان شاول كمدينة غير محصنة، بلا أسوار، بلا حاميات تحميها. مدينة مكشوفة يمكن

أن يكون للشيطان سلطان عليها.. سورها الوحيد كان داود..

✱ ✱ ✱

فى ذلك الوقت أحب شاول داود .

قيل إنه "أحبه جداً" وأرسل شاول إلى يسى يقول له: ليقف داود أمامى لأنه وجد نعمة

فى عينى" (اصم ١٦: ٢٢) .

كان قلب شاول وقتذاك صافياً من جهة داود. إننى متى تغير قلبه من نحوه؟ حدث ذلك

حينما هتفت النسوة لداود بعد انتصاره على جليات، بأسلوب فضلنه فيه على شاول، فدخل

الحسد فى قلب شاول (اصم ١٨: ٧ - ٩) .

وبالحسد دخل شاول فى صراع مع داود. " وصار شاول عدواً لداود كل الأيام " (١)

صم ١٨: ٢٩) .

البَابُ الثَّانِي

دَلَالَةُ وَجْهَاتِ

نجاح داود كان سبب متاعبه كلها مع شاول.

ولكن كيف بدأت القصة؟ وكيف تطورت؟ بدأت بانتصاره على جليات:

كان أخوة داود فى ساحة الحرب. لذلك أرسله أبوه يسي ليفتقد سلامتهم. ولم ينس أن يرسل معه بعض الطعام هدية لرئيس الألف (اصم ١٧: ١٨). عجيب هذا الرجل يسي فى هداياه، وفى أنه حسب الوصية "لا يقف أمام الله فارغاً" (خر ٢٣: ١٥) (خر ٣٤: ٢٠). حتى أنه لما سبق وأرسل داود إلى شاول الملك "أخذ يسي حماراً حاملاً خبزاً، وزق خمر، وجدى ماعز، وأرسلها بيد داود إينه إلى شاول" (اصم ١٦: ٢٠).

الحرب للرب

وصل داود إلى ساحة الحرب، ورأى الرجل الجبار جليات، وهو يعير صفوف الله الحى.

كان منظره مخيفاً: طوله ستة أذرع وشبر. ويلبس درعاً وزنه خمسة آلاف شاقل نحاس. وقناة رمحه كنول النساجين. وهو يتحدى ويقول "اختاروا لأنفسكم رجلاً ولينزل إلى. إن قدر أن يحاربني ويقتلني نصير لكم عبيداً. وإن قدرت أنا عليه وقتلته، تصيرون أنتم لنا عبيداً وتخدموننا. وقد إرتاع أمامه شاول وكل الشعب وخافوا جداً" (اصم ١٧: ٨ - ١١).

ظل هذا الجبار يعير الجيش كله أربعين يوماً (اصم ١٧: ١٦).

فلما ظهر داود، إنتهت الأربعون يوماً، أيام التعير.

الكل خافوا ما عدا داود، الذى قال "من هذا الأغلف حتى يعير صفوف الله الحى؟! ولعل البعض كان يتساءل من هذا الصبى الذى يتكلم هكذا بثقة وجرأة. أيعظن أنه أقوى من جميع ضباط الجيش وقواته؟!



أما جرأة داود فكان سببها ثقته بأن "الحرب للرب" (اصم ١٧ : ٤٧).

وهذه الثقة كانت لها خبرة عملية له مع الله، حينما غلب الأسد والدب، لذلك قال في ثقة " الرب الذى أنقذنى من يد الأسد، ومن يد الدب هو أيضاً ينقذنى.. " (اصم ١٧ : ٣٧). لذلك فإنه لم ينظر إلى قوة جليات، إنما إلى قوة الله الذى سوف يدفعه إلى يده .. وهكذا كان داود هو الوحيد فى ساحة الحرب الذى لم يخف.

وبوصول داود إلى المحلة، أدخل فيها إسم الله.

كان كل الناس يتحدثون عن "هذا الرجل الصاعد" ويكون أن الرجل الذى يقتله، يغنيه الملك غنى جزيلاً، ويعطيه ابنته، ويجعل بيت أبيه حراً" (اصم ١٧ : ٢٥) .. أما داود فلم يفكر فى كل هذا. فهو مستعد أن يحارب الرجل ليس بسبب مكافأة مادية تعطى له، إنما بسبب الغيرة المقدسة التى تشتعل فى قلبه .

✱ ✱ ✱

الْيَاب

وسمعه أخوه أليآب يتحدث مع الرجل عن قتل جليات " فحمى غضب أليآب على داود، وقال له "لماذا نزلت؟ وعلى من تركت تلك الغنيمات القليلة فى البرية. أنا علمت كبريائك وشرّ قلبك، لأنك إنما نزلت لكى ترى الحرب" (اصم ١٧ : ٢٨) .

✱ ✱ ✱

عجيب أليآب هذا الذى رفضه الرب (اصم ١٦ : ٦ ، ٧) .

وعجيبية هى إتهاماته الباطلة لداود .

أليآب كان ضمن الجنود الخائفين من جليات، الذين تلقوا تهديداته وتعبيراته فى صمت وخوف. وهو الآن يتهم داود، الذى وقف يتكلم فى غيرة مقدسة، وفى جرأة وبغير خوف! وبكل جرأة يشتم أليآب داود ويقول له " أنا عرفت كبريائك وشرّ قلبك !! " .

كل هم أليآب فى الغنيمات القليلة، وقد حمى غضبه بسبب ذلك، وليس بسبب تعبير صفوف الله. والعجيب أنه غضب على داود، ولم يغضب على جليات. حقاً كما قال الشاعر "أسد علىّ، وفى الحروب نعامة!!" .

✱ ✱ ✱

حقاً، إن الذين لا يعملون، هم أكثر الناس نقداً للذين يعملون.

اليآب الذى لم يجرؤ أن يقبل تحدى جليات، ويخرج لينازله، ينتقد داود ويتهمه وينتهره

بسبب شجاعته وقبوله تحدى جليات. ويقول له "أنا علمت كبرياءك وشرّ قلبك" وبقيناً إنه لا يعلم شيئاً عن قلب داود. فقلب داود يعلمه الله، ويعلم أنه قدس أقدس للرب..

ويقول له اليباب أيضاً "إنما نزلت لكى ترى الحرب!!" ما هى هذه الحرب التى يراها داود. لا توجد أمامه حرب. إنما جبار يتحدى، وجيش خائف ساكت، وملك مرتاع !!

✱ ✱ ✱

أهذه هى الحرب التى يتهم داود بأنه جاء ليرأها. أم الحرب التى جاء داود ليصنعها؟!!

أم أن ألياب كان فى خجل من العار الذى هم فيه جميعاً. العار الذى جاء داود لكى يرفعه عنهم جميعاً..! حقاً، إننا لم نكن نعرف لماذا رفض الله اليباب. والآن كشف الله بعضاً من شخصية ألياب المرفوض، ومع المقارنة أظهر جزءاً من شخصية داود الذى اختاره الرب، وفضله على باقى إخوته، الخائفين مع ألياب فى ساحة الحرب.

لا يخاف

داود كان فتى شجاعاً لا يخاف .

ولما أوصلوه إلى الملك، قال داود للملك "لا يسقط قلب أحد بسببه. عبدك يذهب ويحاربه" (اصم ١٧ : ٣٢).. عبارة عجيبة، يقولها فتى صغير جريئ، لملك وقائد خائف. فلما قال له الملك "لا تستطيع أن تذهب لتحاربه، لأنك غلام وهو رجل حرب منذ صباه". حينئذ بدأ داود يحكى خبرته الروحية فى عمل الله معه .

فقال " كان عبدك يرعى لأبيه غنماً. فجاء أسد مع دب، وأخذ شاه من القطيع. فخرجت وراءه وقتلته، وانقذتها من فيه. ولما قام على، أمسكته من ذقنه وضربته فقتلته... قتل عبدك الأسد والدب جميعاً. وهذا الأغلف يكون كواحد منهما " (اصم ١٧ : ٣٤ - ٣٦).

✱ ✱ ✱

نلاحظ هنا أنه يكلم الملك الخائف فى أدب جم .

فيقول له " عبدك يذهب ويحاربه " " عبدك كان يرعى غنماً لأبيه" كما يحكى أن الله هو الذى أنقذه من الأسد والدب، والله هو الذى سينقذه من جليات ... ولاشك أن إدخال إسم الله فى الحرب، هو الذى يغرس الإيمان والقوة فى القلوب ... داود لم يلبس سلاح الحرب، لأنه كان يلبس سلاح الله .

لم يكن متعوداً على تلك الأسلحة، كراعٍ للغنم. ولم يرد أن ينسب الانتصار إلى قوة السلاح، بل إلى قوة الله. لذلك لما التقى بجليات الجبار، قال له "أنت تأتي إلى بسيف ورمح. وأنا أتى إليك باسم رب الجنود" (اصم ١٧: ٤٥).

✱ ✱ ✱

لم يكن اللقاء بين جبار و غلام، بل بين إثنين من الجبابرة . أحدهما جبار من جبابرة الحرب، والثاني جبار من جبابرة الإيمان. لم يخف داود من جليات، لأنه لم يخف من الأسد في البرية. لم يجر منه بل جرى وراءه وأمسكه وقتله، وأنقذ الشاة من فمه!! تصوروا طفلاً، وفي الصحراء، يجري وراء أسد مفترس، لينتزع الفريسة من فمه! أي قلب هذا ؟!

لقد اختبر في معركته مع الأسد والدب، أن الله معه يقويه ..

✱ ✱ ✱

لذلك قال في مزموره، مزمور الراعي "إن سرت في وادي ظل الموت، لا أخاف شراً، لأنك أنت معي" (مز ٢٣).

وقال في مزمور آخر "إن يحاربني جيش، فلن يخاف قلبي. وإن قام عليّ قتال، ففي هذا أنا مطمئن" (مز ٢٧: ٣).

لذلك كان يتعزى فيما بعد بقول المزمور " يسقط عن يسارك ألوف، وعن يمينك ربوات. أما أنت فلا يقتربون إليك، بل بعينيك تنظر مجازاة الأشرار " (مز ٩١: ٧، ٨).
إنه يذكرني بالقدّيس أغناطيوس الأنطاكي، الذي لم يكن حامل سلاح، وإنما كان " حامل الله " .

لذلك لقبوه أغناطيوس الثيوفورس أي حامل الله .

وهكذا قيل عن داود إنه (جبار بأس) منذ طفولته (اصم ١٦: ١٨). كما كان دانيال النبي جبار بأس، إذ ألقى في جب الأسود (د ٦١). وحسن أن الله قد اختار لخدمته جبابرة كهؤلاء .

مَعْرَكَةُ إِيْمَان

خرج داود لملاقاة جليات الجبار، وليس معه سوى مقلّعه. وقد "انتخب له خمس حصوات ملس من الوادي (اصم ١٧: ٤٠).

ما هذا يا داود، أخرجت لتصطاد عصفير أم لتلقى جبار الحرب جليات الذى يتحدى الجيش كله ويعيره؟! ولكن داود يتعزى بقول الكتاب " ليس للرب مانع أن يخلص بالكثير أو بالقليل" (اصم ١٤ : ٦).

وهكذا قال داود لجليات "الحرب للرب، وهو يدفعكم ليدنا" "اليوم يحبسك الرب فى يدى.." (اصم ١٧ : ٤٧ ، ٤٦) .

حقاً كانت حرباً بين الإيمان يمثله داود، والطاقات البشرية والمادية يمثله جليات. وقد انتصر الإيمان بحصاة داود..

✱ ✱ ✱

ولكنى أحياناً أعاتب نبي الله داود. وأقول له : لماذا اخذت خمس حصوات. كانت واحدة منها تكفى ...

لعله احتفظ بالباقي كذكرى لهذا الانتصار العجيب ..

أو لعل الله قال عن معركته مع جليات : لست أحتاج منك إلى كل هذا. تكفى واحدة. إنها مثل حبة الخردل، وهى أصغر البذور. ولكن يشبه بها ملكوت السموات (مت ١٣ : ٣١ ، ٣٢) .

✱ ✱ ✱

تقدم هذا الطفل الأشقر مع حلاوة فى العينين إلى جليات فاحتقره، لأنه لم يكن يرى الإيمان الكبير الذى فى قلبه، ولم يكن يرى قوة الله العاملة معه .

أما داود، فلأنه كان يرى الرب أمامه كل حين، احتقر جليات وقوته .

وأسرع إلى الصف، وضربه بمقلعه، فارتكز الحجر فى جبهته وسقط الجبار إلى الأرض. وأسرع داود فأخذ سيف جليات وقطع به رأسه. وانتصر الجيش بانتصار داود. أما هدف داود فكان " لكى تعلم كل الأرض أنه يوجد إله .. " (اصم ١٧ : ٤٦) .

✱ ✱ ✱

العجيب أن شاول الملك لما رأى داود يتقدم لمقاتلة جليات، سأل:

"ابن من هذا الغلام ؟" (اصم ١٧ : ٥٥) .

سأل عنه رئيس الجيش (إينير) فقال له : لست أعلم .

ولما حضر داود - ومعه رأس جليات - لمقابلة شاول الملك سأله "ابن من أنت

يا غلام؟" فأجابه داود "ابن عبدك يسى البيت لحمى".

أجابه فى وداعة، ولم يقل له: أنا الذى كنت لك حامل سلاح وكنت أضرب لك على العود، لتهدأ من اقتحام الروح النجس لك.. ولم يقل له أنا الذى قابلتني قبل المعركة وحاولت أن تلبسنى ملابس الحرب فاعتذرت عنها، وأنا الذى قلت لك " لا يسقط قلب أحد بسببه" ..

بل أجاب داود بكل وداعة وإتضاع "أنا ابن عبدك يسى البيت لحمى". " فأخذه شاول من ذلك اليوم، ولم يدعه يرجع إلى بيت أبيه " (اصم ١٨ : ٢). ومنذ ذلك الحين تعلقت به نفس يونان بن شاول، لأنه أحبه كنفسه. وقطع الإثنان عهداً بينهما.

متاعب الانتصار

كان إنتصار داود سبب مجد له فى أعين الشعب. ولكنه كان سبب تعب له فى قصر الملك، وبداية مشاكل عديدة . وكان أيضاً من أسباب متاعب داود إنه كان محبوباً، وكان ناجحاً فى كل عمله، وكان الله معه !!



فإن أصابك تعب فى حياتك بسبب نجاحك، لا تتضايق . أحياناً هذا النجاح يسبب حسد الآخرين وغيرتهم، فيتعبونك. ولكن يعزيك قول المزمور "كثيرة هى أحزان الصديقين. ومن جميعها ينجيهم الرب" (مز ٣٤ : ١٩) . هابيل حسده أخوه لبره، وقبول الرب لذبيحته (تك ٤ : ٥). ويوسف الصديق حسده أخوته لمحبة أبيه له، وبسبب أحلامه التى أعلن فيها الله ما سوف يمنحه من أمجاد .

لذلك فإن الناجحين يحتاجون إلى صلوات أكثر من الفاشلين . بسبب حسد الناس لهم. وبالأكثر بسبب حسد الشياطين. وربما أيضاً لأن النجاح قد يرفع القلب من الداخل ... إن الشيطان لا يحتمل أن يرى شخصاً ناجحاً. لذلك قد يحاربه من الخارج ومن الداخل أيضاً .

ضحية المديح

على أن السبب المباشر لبدء متاعب داود، كان مديح النساء. أولئك اللاتي " خرجن في جميع المدن بالغناء والرقص للقاء شاول الملك، بدفوف وفرح قائلات : ضرب شاول ألوفه، وداود ربواته " (اصم ١٨: ٦، ٧). فأعطين شاول الألوف، وداود عشرات الألوف. ولم تضع النساء أمامهن نتيجة هذا المديح، وأثره في قلب شاول.

وصار داود ضحية لهذا المديح، إذ تغير قلب شاول من جهته. في بادئ الأمر - قبل حرب جليات - قيل إن شاول " أحبه جداً. وكان له حامل سلاح. فأرسل شاول إلى يسى يقول له : ليقف داود أمامي، لأنه وجد نعمة في عيني " (اصم ١٦: ٢١، ٢٢).

وحتى بعد الانتصار - وقبل غناء النساء - كان الحب لا يزال موجوداً. كان داود ينجح في كل مهمة يرسله إليها شاول "فجعله شاول على رجال الحرب، وحسن في أعين جميع الشعب" (اصم ١٨: ٥).



كل ذلك الحب لأن الحسد لم يكن قد دخل بعد إلى قلب شاول . أما بعد غناء النسوة ومدحهن لداود أكثر من شاول، دخل الحسد إلى قلب شاول من جهة داود. فكان " يعاين داود من ذلك اليوم فصاعداً (اصم ١٨: ٩). ويحاول قتله . وبدأت قصة صراع طويلة سببت لداود متاعب مرعبة .

البَابُ الثَّالِثُ

وَلَوْ رَأَى
فِي بَوَاقِي سَأَلَ

بدأ داود علاقته مع شاول كمصدر بركة له .

كان هو الشخص الذى يحميه من الروح الردئى، يعزف له على عوده ويهدئه. وكان له "حامل سلاح" (اصم ١٦ : ٢١). "كان عندما جاء الروح الردئى من قبل الله على شاول، أن داود أخذ العود وضرب بيده، فكان يرتاح شاول ويطيب، ويذهب عنه الروح الردئى" (اصم ١٦ : ٢٣).

وكان له سبب بركة من ناحية أخرى، أنه أنقذه من جليات وتعييره وتهديده.. وكان بركة له أيضاً فى تنفيذ كل أوامره بنجاح. وفى هذا يقول الكتاب " وكان داود يخرج إلى حيثما أرسله شاول. كان يفلح. فجعله شاول على رجال الحرب" (اصم ١٨ : ٥). إذن كيف انقلب الموقف ومتى؟ من بركة إلى حسد ..

✱ ✱ ✱

نتائج الحسد

انقلب الموقف بعد هتاف النساء لداود، ودخول الحسد قلب شاول.

وصار كل عمل حسن يعمله داود، سبب ضيق وحزن لشاول!!

قد يوجد إنسان يتعبه رئيسه بسبب فشله. أما داود، فإنه بسبب نجاحه كان يتعبه رئيسه. " كان داود مفلحاً فى جميع طرقه، والرب معه. فلما رأى شاول أنه مفلح جداً، فزع منه " (اصم ١٨ : ١٥). "وكان شاول يخاف داود، لأن الرب معه، بينما فارق شاول. فأبعده شاول عنه، وجعله رئيس ألف" (اصم ١٨ : ١٢، ١٣). وكان داود محبوباً جداً من الجميع، وهذا أيضاً أتعب شاول. فماذا يفعل داود المسكين ليرضى شاول الذى يتعبه نجاح داود، ومحبة الناس له، وكون الرب معه ؟! حقاً كما قال الشاعر :

إذا كانت فضائلى اللآئى أتية بها عُدَّتْ ذنوباً، فقل لى كيف أعتذر ؟!

✱ ✱ ✱

أصبح داود لا يستطيع أن يرضى شاول، لأن تعب شاول كان من داخله بسبب الحسد والغيرة .

هنا ونتذكر أنه فى بعض الأوقات لا يستطيع الإنسان أن يصطلىح مع جميع الناس ... وفى مثل هذه الحالة يمكنه أن يتناول من الأسرار المقدسة، مادامت خصومتهم له بسبب شرهم هم، وليس لخطأ منه ...

✱ ✱ ✱

فى بادئ الأمر كان شاول يخفى حقدّه، ويلجأ إلى طرق مأكرة للتخلص من داود !! لم يرد أن تكون يده عليه، إنما يصدره إلى الحرب فيموت (اصم ١٨ : ١٧). ولم تفلح هذه الطريقة، إذ كان داود شجاعاً جداً، ومنتصراً ...

ولجأ شاول إلى طريقة أخرى تبدو فى ظاهرها علامة حب، والمقصود بها موت داود، فعرض أن يصاهره، وكلم عبده أن يعرضوا الأمر على داود، الذى قابل ذلك بإتضاع وقال لهم " هل هو مستخف فى أعينكم مصاهرة الملك، وأنا رجل مسكين وحقير؟! " (اصم ١٨ : ٢٣) .

"ميكال ابنة شاول أحببت داود. فقال شاول أعطيه أياها، فتكون له شركاً" (اصم ١٨ : ٢٠، ٢١) .

✱ ✱ ✱

عجيب ذلك الزواج الذى يقصد به شاول ضرراً لمن يزوجه إبنته!! فى الظاهر يحقق رغبة إبنته، ويرفع من شأن داود فيصير صهر الملك. أما فى القلب من الداخل فكانت الكراهية والحقد، والنية السيئة، إذ طلب أن يكون المهر قتل مائة من الأعداء، من جيش جليات. وقبل داود، وخرج إلى الحرب فقتل مائتين (اصم ١٨ : ٢٥ - ٢٧) .

✱ ✱ ✱

"قرأى شاول وعلم أن الرب مع داود". فهل احتسب وخاف من داود مادام الرب معه؟! كلا. بل يقول الكتاب "وعاد شاول يخاف داود بعد. وصار شاول عدواً لداود كل الأيام" (اصم ١٨ : ٢٨، ٢٩) .

وهنا بدا كما لو كان شاول يقاوم الله نفسه .

مادام روح الله قد فارقه، فما كنا ننتظر منه سوى هذا. ومادام الروح الردى يبغته، والحسد يتعب قلبه. فقد كانت هاتان القوتان هما اللتان تحركانه. لقد صار أسيراً للشر الذى يوجد داخل قلبه ...

كانت خطيئة شاول تقوده من شر إلى شر أشد منه .

فى بادئ الأمر كانت تتعبه الغيرة والجسد . فلما استسلم لهما، تحولاً فى داخله إلى كراهية وحقد . ثم إلى محاولة سرية وماكرة لقتل داود الذى لم يسء إليه فى شئ .. ثم إذا بالخطية التى فى داخل القلب، تعلن عن نفسها بلا حجل وبلا خوف !! فبدأ شاول يصرح لمن هم حوله برغبته فى قتل داود، دون أن يقدم تبريراً لذلك . وأخذ يحرضهم على قتل داود، أى أنه دخل فى مرحلة أخرى من الخطية، وهى أن يشرك الغير معه فى شره، ويصير عثرة لهم فى الخلق وفى التصرف . وفى ذلك يقول الكتاب: "وكلم شاول يوناتان ابنه وجميع عبيده أن يقتلوا داود" (اصم ١٩ : ١) .

يوناثان النبيل

وهنا نرى مثلاً عملياً لحدود وصية "أكرم أباك وأمك" .

يوناثان ابن شاول الذى يمثل النبل والوفاء فى قصة داود، والذى أحب داود حباً عملياً وعقد عهداً معه .. يوناثان هذا لم يعجبه تصرف أبيه . وعلمنا عملياً أنه "ينبغى أن يطاع الله أكثر من الناس" (أع ٥ : ٢٩) . فعمل على إنقاذ داود من شرّ شاول أبيه، وكشف له تأمر أبيه عليه ونصحه بالاختباء (اصم ١٩ : ٢) .

✠ ✠ ✠

ولم يكتف يوناثان بعدم طاعة أبيه فى ارتكاب خطية، وإنما أكثر من هذا نصحه ووبخه .

حقاً كما قال القديس بولس الرسول فيما بعد "أيها الأبناء أطيعوا والديكم فى الرب، لأن هذا حق" (أف ٦ : ١) . وندقق هنا على عبارة (فى الرب)، أى أن تكون الطاعة للبشر، داخل الطاعة للرب . أما خارج الله، فلا طاعة لأحد أياً كان مركزه، حتى لو كان أباً .. وهذا الطريق سلك فيه يوناثان بن شاول .

كلم أباه حسناً عن داود . ولم يلجأ إلى النفاق مع الرؤساء!

لم يبصر الشر فيتوارى !! بل واجه الشرّ وفى قوة . لم يفعل مثل أية حاشية فاسدة لملك أو رئيس أو مدير، تمتدح له كل ما يعمل حتى الأخطاء، إما كسباً لرضاه أو إتقاء لشره!

✠ ✠ ✠

بل هنا نرى شجاعة يونانان فى الحق: قال لأبيه شاول: "لا يخطئ الملك إلى عبده داود، لأنه لم يخطئ إليك، ولأن أعماله حسنة لك جداً .. لماذا تخطئ إلى دم برئ، بقتل داود بلا سبب؟!" (اصم ١٩: ٤، ٥).

فى هذه المرة نجح يونانان فى وساطته كصانع سلام، وكمنقذ للمظلومين. وسمع له أبوه فى دفاعه عن داود. "وحلف شاول: حى هو الرب، لا يُقتل". وأتى يونانان بـداود إلى شاول، بعد أن أقسم له أن داود سوف لا يُقتل .

✱ ✱ ✱

يونانان كان بالنسبة إلى أبيه يمثل الإكرام العاقل الحكيم. وكان بالنسبة إلى داود يمثل المحبة المخلصة الزاهدة .

إنه لا يمثل أبداً التعصب أو التحيز للعشيرة. لا ينضم إلى أبيه لمجرد أنه أبوه. إنما ينضم إلى الحق أولاً وقبل كل شئ. لا ينحاز إلى سبط بنيامين عشيرة أبيه، ضد سبط يهوذا عشيرة داود. إنما يقف إلى جوار العدل والحق، ولو كان ذلك ضد أبيه.

إنه مع داود، لأن داود يعمل خيراً باستمرار، ولأن الله معه. إذن حينما يكون مع داود، يكون مع الله فى نفس الوقت ..

✱ ✱ ✱

يونانان كان أيضاً لا يشتكى الملك والرئاسة. لذلك كان قلبه نقياً من الحسد الذى فى قلب أبيه .

يونانان ابن الملك كان قد خلع ملابسه الملكية كأمير، وأعطاهم لداود. أعطاه جبهته وسيفه وقوسه ومنطقته وباقي ثيابه (اصم ١٨: ٤). يونانان - وهو ولى العهد - لم يكن يخاف من داود على الملك الذى يرثه من أبيه شاول. بل فى قلبه : لو صار داود ملكاً، لكان هذا يسعده. إنه ينظر إلى الحكم بطريقة موضوعية، وليس بطريقة شخصية مثل أسلوب أبيه !! وفى كل ذلك كان يطيع الأب السماوى أكثر مما يطيع أباه الأرضى . لذلك كانت كل مؤامرة يدبرها أبوه لقتل داود، كان يونانان يكشفها له لكى ينقذه .

✱ ✱ ✱

أقول الوصية "تحب قريبك كنفسك" (مت ٢٢: ٣٩) .. ها نحن نرى يونانان أحب داود أكثر من نفسه .

بل إنه فى مرة أخرى ... فى دفاعه عن داود. تعرض لغضب أبيه الذى سبه ووبخه

فى عنف وحمو غضب قائلاً له " يا ابن المتعوجة المتمرّدة، أما علمت أنك أخترت ابن يسى لخزيك .. لأنه مادام ابن يسى حياً على الأرض، لا تثبت أنت ولا مملكته. والآن أرسل وأت به لأنه ابن الموت هو " (اصم ٢٠: ٣٠، ٣١) .

أما يونانان فلم يكن مهتماً بأن تثبت له مملكة .. بل مثل هذه المملكة التى تأتى بأسلوب الحق والقتل والظلم وعكس مشيئة الله، هذه ما كانت تغرى يونانان إطلاقاً .. كل ما كان يهم يونانان هو العدل والحب. وكان يرى أباه فى طريق عكسى، لهما .. إذ ما كان شاول يحب داود، ولا كان عادلاً فى تصرفه معه .

✠ ✠ ✠

وهكذا كان الأب وإبنه فى طريقين متناقضين .

وللأسف كان شاول يبدو كما لو كان يدافع عن ابنه وثبات المملكة له !! ولكن بأسلوب عالمى بعيد عن الروحانية، مبنى على الظلم والغدر والمبدأ الميكافيللى الذى يقول الغاية تبرر الوسيلة!!

أما يونانان فلم يرد إطلاقاً على حديث أبيه عن ثبات المملكة له. كان ذلك الأمر أتفه من أن يرد عليه. وإنما أجاب أباه بأسلوب روحى، إذ قال عن داود " لماذا يُقتل؟! ماذا عمل ؟ " (اصم ٢٠: ٢٢). وكانت النتيجة أن " شاول وجه الرمح نحوه ليطعنه " ! .

✠ ✠ ✠

وكما دافع يونانان عن داود، ولم ينفذ رغبة أبيه، هكذا فعلت ميكال أخته أيضاً . أرسل شاول عبده لقتل داود فى مسكنه. فوقفت ميكال إلى جوار داود لتنقذه من أبيها، ودبرت له طريقة للهرب. "فأنزلت ميكال داود من الكوة، فذهب هارباً ونجا" (اصم ١٩: ١٢) وفى مكان فراشه وضعت الترافيم ولبدة ماعز وغطت الفراش. وأتى رسل شاول لقتل داود ولم يجدوه. ووبخ شاول إبنته قائلاً لها " لماذا خدعتنى، فأطلقت عدوى حتى نجا " (اصم ١٩: ١٧) .

وكما فقد شاول روحياته، فقد أيضاً طاعة إبنه وإبنته له .

صارت خطيئته مكشوفة تتعب ضمير الابن والإبنة، فتعثرهما فى أبيهما، وتصطدم أيضاً بمحبتهم لداود، كما تصطدم تصرفات ذلك الأب الشرير بالحق والعدل، وتلغى كل ما له من طاعة عليهما

✠ ✠ ✠

محااولات للقتل

ولم يكتف شاول بمحاولة قتل داود عن طريق عبيده، أو عن طريق إبنه وإبنته. بل إنه لما فشل فى ذلك، حاول أن يقتل داود بنفسه. وعلى الرغم من أنه حلف لإبنه يونانان أنه لن يقتل داود، إلا أنه:

كان من النوع الذى لا يفى باقسامه ولا بوعوده ...

كان الحقد الذى فى قلبه، أقوى من القسم الذى يحلف به أمام الرب. وكم من مرة وعد بأنه سوف لا يعتدى على داود، ولم يستطع أن يبر بوعده .. كان مغلوباً من نفسه ومن شره ...

كان داود باعتباره صهره، يجلس معه على المائدة، أو يتكى معه فى بيته. وكان لا يزال مخلصاً له يهدئه كلما بغته الروح الردئ. وفى أحد الأيام " كان الروح الردئ من قبل الرب على شاول وهو جالس فى بيته، ورمحه فى يده، وداود يضرب بالعود. فالتمس شاول أن يطعن داود بالرمح... ففر من أمام شاول، فضرب الرمح إلى الحائط. فهرب داود ونجا تلك الليلة (اصم ١٩: ٩، ١٠).

✱ ✱ ✱

وعاد شاول يطلب داود ليقتله. وما كان داود يدافع مطلقاً عن نفسه. كانت حرباً بين الشر الظالم والخير المسالم .

بل كانت حرباً بين الروح الردئ الذى ييغت شاول، وبين روح الله الذى حلّ على داود وقد فارق شاول ... كل ما كان يفعله داود أنه كان يهرب، بينما كان جبار بأس يستطيع أن ينتصر على شاول إن أراد. ولكنه لم يرد إذ كان ينظر إلى شاول باستمرار على أنه مسيح الرب، مهما فعل، ومهما أخطأ ...

وكان يونانان مع داود باستمرار. وقد عاهده فى حب صادق وقال له : هكذا يفعل الرب ليونانان وهكذا يزيد. إن استحسن أبى الشر نحوك، فإنى أخبرك وأطلقك فتذهب بسلام " (اصم ٢٠: ١٣)

✱ ✱ ✱

وفعلأ أنقذه يونانان مرة أخرى بحيلة، وتعاهدا مرة أخرى معاً (اصم ٢٠) . وبعد أن أنقذه يونانان قام داود " وسقط على وجهه إلى الأرض، وسجد ثلاث مرات.

وقبل كل منهما صاحبه، وبكى كل منهما مع صاحبه حتى زاد داود " (اصم ٢٠: ٤١) .
وتعاهد الإثنان. وقال يونانان لداود " اذهب بسلام، لأننا كلينا قد حلفنا باسم الرب
قائلين : الرب يكون بينى وبينك، وبين نسلى ونسلك إلى الأبد. وافترق الإثنان. وكان
فراق الوداع .



وانتهى دور يونانان فى النزاع بين شاول وداود، كما انتهى دور صموئيل النبى من
قبل .

وبقى أن يواجه داود الموقف وحده، ومعه نبلة وروحياته، وأيضاً معه الرب، الذى
كان معه وهو بعد يرعى الغنيمات القليلات فى البرية. وكما أنقذه الله من الأسد والدب،
وكما أنقذه من جليات الجبار (اصم ١٧: ٣٧)، هكذا ينقذه من شاول أيضاً .

روحيات داود

كان داود وهو فى العهد القديم، يعيش بروحيات العهد الجديد
من حيث وصية "لا تقاوموا الشر .." (مت ٥: ٣٩) "لا يغلبك الشر، بل إغلب الشر
بالخير" (رو ١٢: ٢١). هكذا تصرف مع شاول الملك كل أيامه ... ولما مات، رثاه داود
وبكاه، وتكلم عنه كلاماً حسناً ... وكان يحترمه وهو فى عمق شره .
كان يحترمه كمسيح الرب، على الرغم من أخطائه، وعلى الرغم من أنه كان عليه
روح ردى .

وكان يحترمه على الرغم من محاولات شاول أن يقتله. وكان يتكلم معه وعنه بكل
إتضاع. ويخاطبه باستمرار بعباراة "سيدى" "أبى" "عبدك" ..
كانت وظيفة شاول ومسحته قائمة أمام داود، وليست تصرفات شاول. يعامله حسب
مسحته، وليس حسب أعماله .

واستمر الصراع قائماً بين معتد ومسالماً .

ونسى داود أنه أيضاً مسيح الرب !!



كان داود محتفظاً بتواضعه على طول الخط، لم تغيره الأمجاد.

لم تغيره المسحة المقدسة التى نالها من يد صموئيل النبى، وحلول روح الرب عليه (١)

صم ١٦ : ١٣). ولم يغيره إنتصاراته المتعددة، سواء على الأسد والدب (اصم ١٧ : ٣٥)، أو على جليات الجبار (اصم ١٧ : ٥١)، ولا فى حروب أخرى كثيرة (اصم ١٨ : ٢٧) (اصم ١٩ : ٨). ولم يغيره هتاف النساء له وتفضيله على شاول الملك (اصم ١٨ : ٧). ولم يغيره محبة الناس وتوقيرهم له ولا نجاحه المستمر (اصم ١٨ : ١٦، ٣٠). ولا أرتفع قلبه مطلقاً بعمل الرب معه (اصم ١٨ : ١٢، ١٤، ٢٨).

✱ ✱ ✱

وفى علاقاته بشاول الملك كان يتكلم بإتضاع شديد .

فلما حدثوه عن مصاهرتة لشاول، قال لهم "هل هو مستخف فى أعينكم مصاهرة الملك، وأنا رجل مسكين وحقير" (اصم ١٨ : ٢٣). قال عن نفسه أنه مسيكن وحقير، بعد إنتصاره الجبار على جليات وبعد هتاف النسوة له، وبعد تعيينه فى قيادات الجيش (اصم ١٨ : ٥، ١٣).

✱ ✱ ✱

وما كان يستهين بالملك الذى عليه روح ردى .

بل كان يضرب له على العود ويهدئه، دون أن ينقص إحترامه له. ولم يحدث مطلقاً أنه قارن بينه وبينه، ولا أدانه وهو يراه هائجاً أمامه بطريقة معثرة. كذلك لم يقارن بينه وبينه حينما كان هذا الملك خائفاً ومرتاعاً هو وكل الجيش من جليات (اصم ١٧ : ١١)، بينما كان داود شجاعاً قادراً على لقائه.

✱ ✱ ✱

ولم يحدث أنه إستاء - بعد إنتصاره على جليات - لما قال له شاول الملك: إبن من أنت يا غلام ؟ (اصم ١٧ : ٥٨) بينما كان له من قبل حامل سلاح (اصم ١٦ : ٢١). وقد رآه من قبل ملاقة جليات وألبسه الدرع (اصم ١٧ : ٣٨). بل أجاب داود بكل إتضاع ووداعة "أنا داود إبن عبدك يسى البتلحمى" (اصم ١٧ : ٥٨).

وبنفس الإتضاع والوداعة والإحترام، واجه داود كل مطاردة شاول له لكى يقتله.

قمة صراع شاول ضد داود

لكي نفهم هذه المرحلة الأخيرة من صراع شاول ضد داود، ينبغي أن نتعرف في عمق على شخصية شاول وإسلوبه، وعلى موقف داود منه كمسيح للرب. ثم نرى كيف انتصر نبل داود وصبره. وكيف تدخل الله وخلصه من شاول، دون أن تكون لداود يد في ذلك .

✠ ✠ ✠

شخصية شاول وإسلوبه

شاول الملك كان يمثل الإنسان الواثق بنفسه أكثر مما يجب. ويمثل الإنسان الذي يريد أن ينفذ مشيئته الخاصة، ولو ضد مشيئة الله !!
لقد صار ملكاً. أرسل الله له صموئيل النبي فمسحه ملكاً. ولكنه لم يهتم أن يكون باستمرار تحت إرشاد صموئيل النبي. بل كان يحب أن يفكر لنفسه، وينفذ ما يهديه إليه تفكيره، سواء كان ذلك موافقاً لمشيئة الله أم لا ! سواء وافق صموئيل النبي أو لم يوافق ! بل لا ينتظر حتى يأخذ إرشاد هذا النبي العظيم .

✠ ✠ ✠

أراد أن تكون مملكته مستقلة عن الله !!
مملكة خاضعة لفكره البشري، ولإرادته البشرية، حتى لو كان هناك روح رديء يقوده !! أرادها مملكة منفصلة عن الله وتدخله. يعتمد فيها على ذكائه وشخصيته، وقوته وسلطانه، وليس على إرشاد الله ولا على أوامر نبيه صموئيل .
إن ذكاء الإنسان هو عطية من الله، عطية سامية ولكنها تضل إن كانت ضد مشيئة الله وإرشاده .

✠ ✠ ✠

الخطأ الثاني لشاول الملك، إنه كان متمركزاً حول ذاته وسلطانه، وملكه ووظيفته ... وكان يضع هذا الأمر في قمة إهتمامه .. يهتم كيف يحتفظ بهذا الملك، وكيف يورثه لإبنه ولسبطه. وكان مستعداً أن يتخذ كل الوسائل لضمان ذلك .

رأى أن داود خطر على ملكه، فأراد أن يقضى على داود. ورأى أن الله مع داود، فلم يهمله ذلك، ووقف ضد كليهما، ضد الله وضد داود. ولما رأى أن الله ينجح طريق داود، ازداد حسداً له، وأحب أن يتخلص منه ...

✱ ✱ ✱

المفروض في الإنسان إذا تلمس إرادة الله، أن يخضع لها...

والمفروض أنه إذا أدرك أن شخصاً محبوب من الله، أو هو من رجال الله، لا يقاومه. ولكن شاول لم يكن كذلك. كان يعرف تماماً أن الرب مع داود، ومع ذلك قاومه بكل شدة وبكل عنف وقسوة. وكأنه يتحدى الله نفسه .

حقاً، إذا تمركز إنسان حول ذاته، لا بد أن يصل إلى العناد، وإلى الجهل ... كانت مشيئة الله واضحة أمام شاول، ومع ذلك كان يعاند. وكان عناده لوناً من صلابة الذهن وصلابة القلب. كان قلبه مثل صخرة لا تلين أمام الله. كان في قلبه يشبه فرعون، الذي كان يعرف تماماً أن الله مع موسى بقوة معجزات وآيات، وعلى الرغم من ذلك قاوم موسى النبي، بكل عناد ... الإثنان متشابهان - فرعون وشاول - في الذاتية والعناد ... وفي إهتمام كل منهما بذاته، وتشبثه بتنفيذ مشيئته، والحرص على سلطانه ...

✱ ✱ ✱

اهتم شاول بذاته، ولكن ليس بطريقة روحية. فالتريقة الروحية هي التي قال عنها داود " أما أنا فخير لي الإلتصاق بالرب.. " (مز ٧٣ : ٢٨). أما شاول فاهتم بنفسه بطريقة فصلتها عن الله فضيعتها. وانطبق عليه قول السيد الرب :

"من وجد نفسه يضيعها. ومن أضاع نفسه من أجل يجردها" (مت ١٠ : ٣٩) .

أراد شاول أن تظهر ذاته وتسود، ولو اختفى الله من أمامه. وهكذا ضيَع نفسه، فيما أراد لها أن توجد ...

✱ ✱ ✱

المهم أن شاول بعد إنتصار داود على جليات، وهتاف النساء له بالأكثر، ظل يطارد داود من مكان إلى آخر، ومن برية إلى أخرى، في قصة صراع عجيبة بين الخير والشر

: فيها الشر دائم الهجوم، دائم المطاردة، دائم الاعتداء ... بينما الخير فى ذلك الصراع لا يدافع عن نفسه ...

نبل داود

كان داود فى تلك الحرب حريصاً على ألا يقابل الهجوم بهجوم، ولا يقابل الاعتداء باعتداء، ولا الإساءة بإساءة .

كان داود مثلاً للإنسان الذى لا يدافع عن نفسه، بل يترك الله ليدافع عنه .. لم يتخذ أى موقف ضد شاول على الإطلاق. بل كان داود فى نبله حساساً لنقاط معينة تمثل مبادئ روحية فى حياته :

كان شاول أكبر من داود سناً. وداود يحترم من هم أكبر منه سناً. وكان شاول أعلى منه مقاماً، وداود يحترم السلطات، ولا يشاء أن يقاوم الملك. وأيضاً شاول هو مسيح الرب، مسحه صموئيل النبى بالدهن المقدس ...

وداود يحترم مسيح الله ويقدره، فلا يمكن أن يعتدى عليه .

لا يمكن أن يعتدى عليه، مهما نزل عليه شاول بكل ثقله، ومهما ظلمه ... على الرغم من أن داود كان يعلم أن شاول عليه روح ردى. وكان داود يهدئه عندما يبغته ذلك الروح الردى فيهيج... حتى أنه كان يصوب السهم نحوه ليقتله.. ومع كل ذلك وضع داود أمامه تلك العبارة.. "إنه مسيح الرب هو" (اصم ٢٤: ٦) "حاشا لى من قبل الرب أن امد يدي إلى مسيح الرب" (اصم ٢٦: ١١).

✠ ✠ ✠

إنه درس لنا جميعاً فى إحترام مسحاء الرب، الذين مسحهم رجاله، حتى إن أخطأوا. لذلك احتمل داود كل الظلم الذى لحق به من شاول الملك فى صبر عجيب. وصار داود يمثل القلب الصابر الذى يحمل صليبه كل يوم من أجل بره وقداسته. فلا اعتدى على شاول، ولا تذر على الله، بسبب تركه يحتمل وهو مظلوم، يضطهده شاول بلا سبب. وكأنه فى داخل قلبه كان يقول : إن الله يرى ما أنا فيه. فإن أراد أن يدافع عنى فليدافع. وإن أحب أن ينتظر حتى يأتى الوقت المناسب، فالمناسب أيضاً أن أنتظر.. ولعله كان يعزى نفسه قائلاً:

"انتظرت نفسى الرب من محرس الصبح حتى الليل" (مز ١٣٠: ٦).

✠ ✠ ✠

وما هو هذا الليل، إلا الويل الذى يصيبه من شاول وقد اخذ معه ثلاثة آلاف جندي من المنتخبين لكى يطارده ويقتله (اصم ٢٦: ٢). وكان داود يعرف أن الرب سيتدخل فى وقت ما، ولا بد أن مضايقات شاول ستنتهى. "إما أن الرب يضربه، أو يأتى يومه فيموت، أو ينزل إلى الحرب ويهلك" (اصم ٢٦: ١٠).. فانتظار عمل الرب هو الأفضل. وهكذا يقول لنفسه:

"انتظر الرب. تقوّ وليتشدّد قلبك، وانتظر الرب" (مز ٢٧: ١٤):

✱ ✱ ✱

أحياناً نشعر أن الله يتباطأ فى الحل، وأنه قد تأخر كثيراً عن معונتنا، فيضعف إيماننا، أو نلجأ إلى طرق بشرية، فنعتمد على ذكائنا أو على الناس. ولكن الرب لا بد سيجئ ولو فى الهزيع الرابع من الليل، ليعمل عملاً، ويشرق على السالكين فى الظلمة. فيهتف كل مظلوم ويقول "عظم الرب الصنيع معنا، فصرنا فرحين" (مز ١٢٦: ٣).

✱ ✱ ✱

إن الرب لا يدلّل أولاده. ولكنه كثيراً ما يدرّبهم بالضيقات ليشدّ عودهم. حتى يستطيعوا فيما بعد أن يتحملوا المسئوليات الكبيرة. وكما درّب موسى بمضايقات فرعون قبل أن يتولى مسئوليات الشعب كله. كذلك درّب داود بضيقات كثيرة قبل تحميله مسئولية قيادة الشعب. درّبه فى هجوم الأسد والدب على غنمه (اصم ١٧: ٣٤ - ٣٦). ودرّبه فى محاربة جليات الجبار ليعرف أن الحرب للرب (اصم ١٧: ٤٧). ودرّبه أيضاً بمطاردة شاول الملك له. حتى يقول فيما بعد فى مزاميره:

"مراراً كثيرة حاربونى منذ صباى، ولكنهم لم يقدرُوا على..". (مز ١٢٩: ٢).

✱ ✱ ✱

ما كان ممكناً أن يتولى الملك مباشرة قبل فترة التدريب، أكان ذلك الغلام "الأشقر مع حلاوة فى العينين" يقدر أن يتولى قيادة إمبراطورية واسعة بكل ما فيها من حروب، ومن مؤامرات أبنير ويوآب بن صرويه، بل ومؤامرات أبشالوم أيضاً، وخيانة أخيتوفل وتعبيرات شمعى بن جيرا... إلا بعد أن يتمحص بالنار أولاً، ويدخل من الباب الضيق ويسير فى الطريق الكرب (مت ٧: ١٤). ويحتمل شاول وأمثاله... وحينئذ ينشد:

"كثيرة هى أحزان الصديقين، ومن جميعها ينجيهم الرب".

✱ ✱ ✱

عمل داود بوصية العهد الجديد "لا تقاوموا الشر" (مت ٥: ٣٩).

فلم يقاوم شاول. بل كل ما فعله أنه كان يهرب.. وفي إحدى المرات، وهو هارب في حصون جدى. خرج وراءه شاول ومعه ثلاثة آلاف من الجنود المنتخبين (اصم ٢٤: ١)، (٢). ودخل شاول أحد الكهوف ليستريح. وكان داود ورجاله فى أعماق ذلك الكهف. فقال له رجاله : قد دفع الله عدوك ليذك لتفعل به ما تريد. وقام داود وقطع طرف جبة شاول سرّاً. ثم وبخه ضميره على ذلك ووبخ رجاله الذين شجعوه على قتل شاول قائلاً :
" حاشا لى من قبل الرب أن أعمل هذا الأمر بمسيح الرب، فأمد يدي إليه. لأنه مسيح الرب هو " (اصم ٢٤: ٦) .

إِنَّهُ مَسِيحُ الرَّبِّ

فلم يسمح داود لنفسه أن يقتل شاول عدوه .
ولا سمح داود لرجاله أن يفعلوا ذلك ...
وقع فى يديه، فلم يؤذه. وتركه إلى أن غادر المكان بسلام ومضى فى طريقه. وحينئذ ناداه داود "يا سيدى الملك". فلما التفت شاول إلى وراءه "خرّ داود على وجهه إلى الأرض وسجد" (اصم ٢٤: ٨). وقال له داود "هوذا قد رأت عيناك اليوم، كيف دفعك الرب اليوم ليدى فى الكهف. وقيل لى أن أقتلك. ولكنى أشفتك عليك. وقلت لا أمد يدي إلى سيدى، لأنه مسيح الرب هو. وأراه طرف جبته فى يده".



بكل هذا الإلتضاع كلمه. بعبارة سيدى الملك. وبسجوده أمامه إلى الأرض .
وأيضاً بقوله "وراء من خرج ملك إسرائيل؟! وراء من أنت مطاردي؟! وراء كلب ميت، وراء برغوث واحد؟! " (اصم ٢٤: ١٤). ثم قال له " يقضى الله بينى وبينك " وكررها مرتين (اصم ٢٤: ١٢، ١٥). وعرفه أنه لم يخطئ إليه، وعاتبه قائلاً "وأنت تصيد نفسى لتأخذها".



واستطاع نبل داود أن يحطم قساوة شاول، فرفع شاول صوته وبكى (اصم ٢٤: ١٦)
حقاً تستطيع أن تقتل عدوك بنبلك لا بنبالك. النبال تحطم الجسد، أما النبل فيحطم القلب من داخل مهما كان صخراً. بنبل داود، احتقر شاول ذاته. شعر أنه حقير أمام نفسه. فبكى.

عرف شاول أنه كان بإمكان داود بدلاً من أن يقطع طرف جبته، أن يقطع رأسه كما فعل بجليات، ولكنه كان أنبل من أن يفعل ذلك لنبله، وإحترامه مسحته. وهذا النبل هزّ قلب شاول الصخري. فقال له " أهذا صوتك يا ابني داود ". وبكى ...
ليس سهلاً على الرجل أن يبكى، وبخاصة لو كان إنساناً قاسى القلب كشاول، جباراً ومعه جيش من ثلاثة آلاف وضميره من حديد، ومشاعره من فولاذ لا تتحرك. ولكن داود انتصر على حقد شاول، بنبله .



هزمه بتواضعه، وبرفته، وبإشفاقه عليه حينما وقع فى يده، وهزمه بإحترامه له على الرغم من محاولة شاول أن يقتله .
انتصر داود فى تعفف يده عن القتل. فشهد له شاول قائلاً له "أنت أبرّ منى، لأنك جازيتنى خيراً، وأنا جازيتك شراً ... فليجازك الرب خيراً عما فعلته اليوم لى" .
واعترف شاول أن داود سيصير ملكاً وتثبت مملكته. وطلب من داود أن يحلف له أنه لا يبيد اسمه من بيت أبيه، ولا يقطع نسله من الأرض. فحلف له داود ومضى كل واحد منهما فى طريقه ...
ولكن هل ترى القصة قد إنتهت عند هذا الحد ؟ وهل أبطل شاول مطاردة داود ؟
كلا..

نهائية مطاردة شاول لداود

كان شاول الملك الجبار قد بكى من فرط تأثره بنبل داود، كما بكى عيسو من قبل متأثراً بتواضع أخيه يعقوب (تك ٣٣: ٣، ٤) .

كان بكاء شاول مجرد يقظة مؤقتة للضمير، ولكنه لم يكن توبة حقيقية ثابتة ...
نبل داود الذى تعفف عن قتله، هز قلبه إلى لحظات. ولكن رجع إلى قلبه بعد ذلك الحسد والحقد والغل. ففكر مرة أخرى أن يقتل داود. ذلك لأن تأثره السابق كان من الخارج فقط، أما القلب فلم يتغير. صدق الكتاب حينما قال:
"إن دققت الأحمق فى هاون.. لا تفارقه حماقته" (أم ٢٧: ٢٢).

✠ ✠ ✠

كان شاول كإنسان تسيطر الخطية على قلبه. ثم يُصدم صدمة ما، فيصحو إلى نفسه ويقول: لابد أن أتوب، ويلقى أمام الله وعوداً! ثم بعد ذلك تبرد مشاعره، ويزول تأثره، ويرجع إلى خطيئته كما كان ... هكذا كان شاول مغلوباً من طبيعته الشريرة .

✠ ✠ ✠

كان هناك فرق بين شاول وداود فى طبيعة كل منهما :
داود كان يمكن أن يخطئ مثل شاول، ولكن فى حدود لا يتعداها. وأيضاً هناك فارق آخر جوهرى بين طبيعة داود وطبيعة شاول ... ذلك أن شاول كان طبيعته شريرة، الشر كان العنصر الأساسى. وإن فعل خيراً، يكون ذلك عملاً طارئاً عليه. وإن قدم توبة أو ندماً، يكون ذلك بصفة مؤقتة، لا تلبث أن تزول بعد حين.

أما داود، فكان البر هو طبيعته الأصلية، وإن أخطأ، يكون الخطأ دخيلاً عليه. وما يلبث أن يتوب عنه بعمق وصدق .

✱ ✱ ✱

محاولة أخيرة لقتل داود

وسمع شاول أن داود مختف في تل حخيلة (اصم ٢٦: ١)، فخرج يفتش عليه ليقتله!

خرج وراءه ومعه ثلاثة آلاف جندي (اصم ٢٦: ١، ٢). ولم يستفد شاول من خبرته السابقة مع داود الذي كان الرب معه. كانت صحوته السابقة حينما بكى، مجرد زيارة من زيارات النعمة عملت فيه. ولكن لم يستغل هذه النعمة لخير نفسه .. فلما سمع أن داود في برية ما، استيقظ فيه الحقد القديم والحسد القديم، وتخلص من هزة ضميره. كان مثل الإبرة المغناطيسية التي تهتز شرقاً وغرباً، ثم ترجع إلى اتجاهها الثابت .

✱ ✱ ✱

أما تأثره حينما قال لداود "أنت أبر مني"، فكان مثل صحوة الموت.. وعاد يطلب داود ليقتله! ولكن يقتل من؟ يقتل إنساناً يعرف تماماً أن الرب معه، وقد كتب له الرب الحياة .. يقتل من يقول في المزمور "إن يحاربني جيش، فلن يخاف قلبي. وإن قام على قتال، ففي ذلك أنا مطمئن" (مز ٢٧: ٣).. لاشك أن الحقد صور له أوهاماً مستحيلة التنفيذ .

سار ومعه ٣٠٠٠ جندي، وآلاف أكثر وأكثر من الشياطين في ركابه. موكب من الشر يتحرك معه، موكب من الحقد والحسد يزحف ضد داود. أما داود فكانت نعمة الله تظل عليه.. وبدلاً من أن يقع داود في يد شاول، وقع شاول في يد داود، للمرة الثانية..

✱ ✱ ✱

حقاً إن كان الرب مع إنسان، يلقونه في النار فلا يحترق، كالثلاثة فتية (د ٣١).. أو يلقونه في جب الأسود - كدانيال - فيرسل الله ملاكه فيسد أفواه الأسود (د ٦١: ٢٢) .. هكذا حدث مع داود.

لم يكن صراع شاول ضد داود، بل ضد الله .

كان شاول يتآمر بجيشه. وكان الرب يحمي داود بنعمته .

دخل شاول إلى مكان فاضطجع، وقد وضع إلى جواره رمحه وكوز الماء. ونام أبنير

رئيس جيشه معه. وكان جنوده نياماً أيضاً. "لأن سبات الرب وقع عليهم" (اصم ٢٦: ١٢).
كان الوقت ليلاً.

ونزل داود، ومعه أيشاي بن صروية، إلى حيث شاول الملك وهو نائم، وقال أيشاي لداود "دعني أضربه بالرمح إلى الأرض دفعة واحدة ولا أثني عليه ورفض داود ذلك وأجاب "من ذا الذي يمد يده إلى مسيح الرب ويتبرأ؟! حاشا لي من قبل الرب أن أمد يدي إلى مسيح الرب" (اصم ٢٦: ٨ - ١١).

✠ ✠ ✠

داود ترك شاول إلى الرب، ولم يَأْثُم. كان ضابطاً لنفسه إلى أقصى حد .
حقاً إن شاول قد رجع في عهده مع داود، وحقاً كان إنساناً شريراً، وكان روح الرب قد فارقه منذ زمن، وبغته روح ردي من قبل الرب (اصم ١٦: ١٤). ومع ذلك، فهو مسيح الرب هو، مهما كانت عداوته وشره وإصراره على قتل داود.. ولكن ضمير داود كان يقظاً باستمرار. وكان لا يَلْتَمِس لنفسه الأعذار في قتل شاول.

✠ ✠ ✠

والمبررات أمامه كانت كثيرة، ولكنه لم يعتمد عليها .
كذلك بالنسبة إلى معاونيه وقادة جنده، كان في موقف المعلم، وكان مثلاً عملياً لهم، فهو لم يسمح لنفسه بقتل شاول، ولم يسمح لهم أن يقتلوه، ولا رضى أن يقبل منهم عبارة "إن الرب قد دفع عدوك إلى يدك". (اصم ٢٤: ٤). حقاً إنه قد دُفِعَ إلى يديه. ولكن داود لم يعتبر أن ذلك من الله. ولم يرض بهذا التفسير وقتذاك، ولا حينما كرر أيشاي نفس العبارة قائلاً "قد حبس الله اليوم عدوك في يدك" (اصم ٢٦: ٨).

كان داود يقود أتباعه. وما كانوا يقودونه. بل كان ضميره يقوده ويقودهم ..
وهكذا أخذ داود رمح شاول من عند رأسه، وأخذ كوز الماء، وانصرف هو وأيشاي، وترك شاول سليماً في نومه "ولا رأى ولا علم ولا أنتبه أحد". وعبر داود إلى الضفة الأخرى ووقف على رأس الجبل.

آخِرُ عَتاب

ووبخ داود رئيس جيش شاول لأنه لم يحرس سيده الملك .
يمكن أن ينام الملك. ولكن لا بد أن يبقى رئيس جيشه ساهراً يحرسه، أو على الأقل

يعين جنوداً ساهرين لحراسته. أما أن ينام هو وجنوده، فهذا أمر يستوجب التوبيخ. ولكن ممن؟ من داود الذى هو الآن يدافع عن ملك يريد قتله!! فقال لأبنير "لماذا لم تحرس سيدك الملك؟" "أما أنت رجل؟! ومن مثلك؟" حى هو الرب إنكم أبناء الموت أنتم، لأنكم لم تحافظوا على سيدكم على مسيح الرب" (اصم ٢٦: ١٣ - ١٦). وأراهم فى يده رمح الملك وكوز مائه..

"وعرف شاول صوت داود، فقال "أهذا هو صوتك يا إبنى داود؟". فقال داود "إنه صوتى يا سيدى الملك" ..

✱ ✱ ✱

كلمه داود بكل إحترام، ولكنه فى نفس الوقت عاتبه بكل حزم.. أمام الرب .
لم ينس وهو يعاتب أنه أمام الملك. فقال له "يا سيدى الملك". "لماذا سيدى يسعى وراء عبده؟ ماذا عملت؟ وأى شرّ بيدى؟ والآن فليسمع سيدى الملك كلام عبده ..".
كان يتكلم من مرارة نفسه، ومن نقاوة قلبه، وهو يرى ذلك الملك القاسى الغادر يسعى إلى قتله بلا سبب. وينسى أنه كان له من قبل "حامل سلاح" (اصم ١٦: ٢١)، وأنه كان يهدئه من الروح الردئ الذى عليه" (اصم ١٦: ٢٣)، وأنه أنقذه من جليات الجبار (١ صم ١٧).. بل أن شاول أزوجه إبنته ميكال (اصم ١٨: ٢٧). نسى شاول كل هذا، فقال له داود من مرارة قلبه " والآن لا يسقط دمي إلى الأرض، أمام وجه الرب. لأن ملك إسرائيل قد خرج ليفتش على برغوث واحد" (اصم ٢٦: ٢٠).

✱ ✱ ✱

وتأثر شاول، وشعر بحقارة نفسه أمام داود .
وقال " قد أخطأت.. هوذا قد حمقت وضللت كثيراً جداً" (اصم ٢٦: ٢١).. لاشك أن إحتقار شاول لنفسه فى تلك اللحظة، كان أشد قتلاً له مما لو قتله داود!. صدقونى إن إحتقار الآخرين لشخص، أخف بكثير جداً من إحتقاره هو لنفسه .
لقد شعر شاول وقتذاك أنه فى مستوى حقير، ويتعامل مع إنسان كداود نبيل فى خلقه، مرتفع إلى مستوى عال فى معاملاته. وشعر شاول أن أخلاقه ليست أخلاق ملوك، وأنه يهوى إلى تحت، إلى أسفل، إلى هاوية عميقة من الحقارة، قال فيها " قد حمقت وضللت كثيراً جداً" ..

✱ ✱ ✱

والعجيب، أنه كان يخاطب داود بعبارة يا إبنى .

"أهذا هو صوتك يا إبنى داود؟". وكررها مرتين (اصم ٢٤: ١٦). (اصم ٢٦: ١٧). ولم يعاتبه داود على هذه العبارة، لأن شاول لم يعامله مطلقاً كإبن، ولم يظهر له شيئاً من مشاعر الأبوة فى ظل حسده له. كانت عبارة فقدت معناها، أجابه داود عليها بعبارة " يا سيدى الملك. لماذا سيدى يسعى وراء عبده " .. إنه يتعامل كسيد وليس كأب. وليته كان سيداً عادلاً ...

وفيما كان شاول يحتقر نفسه، عاد يقول لداود " ارجع يا إبنى داود، لأنى لا أسئ إليك بعد، من أجل أن نفسى كانت كريمة فى عينيك اليوم ". وأجابه داود " هوذا كما كانت نفسك عظيمة اليوم فى عينى، كذلك لتعظم نفسى فى عينى الرب، فينقذنى من كل ضيق " (اصم ٢٦: ٢١، ٢٤) .

✱ ✱ ✱

وأعاد داود لشاول رمحه، الذى أخذه منه وهو نائم.

إنه رمح الملك الذى وجهه إلى داود من قبل ليقتله (اصم ١٩: ١٠). بل وجهه هذا الرمح أيضاً إلى ابنه يوناتان صديق داود لما دافع عنه (اصم ٢٠: ٣٣). ولكنه على أية الحالات هو رمح الملك، رمح مسيح الرب، لا بد أن يعود إليه .. بعد أن تقس بعض الوقت حينما أمسكه داود بيده .. وهكذا قال داود لشاول "هوذا رمح الملك. فليعبر واحد من الغلمان ويأخذه". وبهذا أعاده إليه دون أن يطلبه شاول منه ... لقد عزّ على داود فى نبذه، أن يعود شاول بدون سلاح، بدون رمحه فى يده، فأعاده إليه. إنه رمح الملك.. وقال داود:

"الرب يرد على كل واحد بره وأمانته" (اصم ٢٦: ٢٣) .

✱ ✱ ✱

وقد كان لداود برّ يرده الرب. أما شاول فلم يكن له شئ من البر أو الأمانة . وقال شاول لداود " مبارك أنت يا إبنى داود. فإنك تفعل وتقدر " (اصم ٢٦: ٢٥). وهكذا كرر عبارة " يا إبنى " ثلاث مرات فى لقاء واحد . وكانت هذه آخر عبارة سمعها داود من فم شاول . " ثم ذهب داود فى طريقه، ورجع شاول إلى مكانه " .

✱ ✱ ✱

ولاشك أن شاول ذهب وهو فى خجل شديد أمام نفسه وأمام جنده. أخذ رمحه الذى احترمه داود. ورجع يجر أذيال الخيبة والخزى والفشل والعار، مما سجله التاريخ عليه فى علاقته مع داود.

ومضى داود يصحبه نبلة ورفعة نفسه، واحترامه لمن هو أكبر منه سناً ومركزاً. بل يصحبه أيضاً تواضعه، إذ أنه فى كل ما أصابه من شاول نسي أنه - أى داود - هو أيضاً مسيح الرب، مسحه صموئيل النبی وسط أخوته وحل عليه روح الرب (اصم ١٦: ١٣).



والعجيب أن داود - فى كل هذا الصراع مع شاول - كان يحترمه وهو يعرف أنه إنسان خاطئ !

لم تكن عند شاول أية علامات من القداسة يُحترم بسببها.. بل كان إنساناً ظالماً غداراً، لا كلمة له ولا عهد، وقد فارقه روح الله. ولكن كانت له مسحته التى احترمها داود.. فكان داود يضع أمامه هذه المسحة باستمرار، ويقول " حاشا لى أن أمد يدي إلى مسيح الرب " " إنه مسيح الرب هو..."



كانت الفرصة متاحة أمام داود لقتل شاول، وما كان أحد يلومه لو أنه قتله . كل الناس كانوا يرون فى شاول إنساناً شريراً. وكانوا يرون داود بطلاً وقديساً. ولكن لم يستغل شعبيته ولا محبة الناس له . وبقي قلبه نقياً، لا يتأثر بالعوامل الخارجية. الفرصة متاحة من الخارج. ولكن ضميره فى الداخل ما كان يقدر أن يحتمل أن يرد على شاول بالمثل. بل إنه لما قطع طرف جبته، تعب ضميره بسبب ذلك وأوجعه قلبه (اصم ٢٤: ٥) .

نَهَايَةُ شَاوُل

وأخيراً تدخل الله فى هذا الصراع بين شاول وداود. ومات شاول فى الحرب . تدخل الله الذى قال عنه داود لشاول "يقضى الرب بينى وبينك.. ولكن يدي لا تكون عليك" (اصم ٢٤: ١٢). "الرب الديان يقضى بينى وبينك، ويرى ويحكم محاكمتى، وينقذنى من يدك" (اصم ٢٤: ١٥). نعم هو الرب الذى قال عنه داود فى المزمور " الرب

يحكم للمظلومين " (مز ١٤٦ : ٧) .

✠ ✠ ✠

إنهزم شاول في الحرب، وقُتل على جبال جلبوع، ولم يشمت داود بل بكى عليه .
بل يقول الكتاب " أمسك داود ثيابه ومزقها، وكذا جميع الرجال الذين معه. وندبوا
وبكوا، وصاموا إلى المساء. على شاول وعلى يونانان ابنه، وعلى شعب الرب .. " (٢ صم ١ : ١١، ١٢) .

وأمر داود بقتل الغلام الذى أجهز على شاول وجاء يبشر بموته. وقال له داود " دمك
على رأسك، لأن فمك شهد عليك قائلاً: أنا قتلت مسيح الرب " (٢ صم ١ : ١٥، ١٦) .

✠ ✠ ✠

ورثا داود شاول ويونانان مريثة مؤثرة جداً .

" كيف سقط الجبابرة وبادت آلات الحرب " " يا جبال جلبوع، لا يكن مطر ولا ظل
عليكن، ولا حقول تقدمات. لأنه هناك طُرح مجن الجبابرة، مجن شاول بلا مسح بالدهن"
"شاول ويونانان المحبوبان والحلوان في حياتهما، لم يفترقا في موتهما. أخف من النسور
وأشد من الأسود.." (٢ صم ١ : ١٧، ٢٧) .

البَابُ الرَّابِعُ

وَلَوْ لِلْمَلِكِ
وَمَحَبَّتِ الْأَعْدَاءِ

مَعَ شَاوُل

مات الملك شاول قتيلاً في الحرب، ولم يشمت داود في موته، بل بكى عليه .
والبكاء ليس مظهراً خارجياً، بل هو تعبير عن عاطفة ومشاعر نابغة من القلب. وهذه
المشاعر جعلت كل الذين حول داود ييكون معه أيضاً على شاول وإبنه يوناثان. وكان
داود في كل ذلك أمثولة ودرساً .. في بكائه، وفي صومه، وفي رثائه لشاول ...
ولم يقل داود عند موت شاول : أشكرك يارب، لأنك خلصتني من أعدائي .
فربما هذه الصلاة كانت ستحمل رضى على موت شاول وفرحاً لموته ... بل على
العكس مزق داود ثيابه تعبيراً عن شعوره بالكارثة التي حدثت، ولعن جبال جلبوع الذي
استقبلت دماء شاول وامتدح في مرثاه شاول، ووصفه بأنه من الجبابرة، وبأنه "أخف من
النسور، وأشد من الأسود " ...

✱ ✱ ✱

وعجيب أنه على الرغم من كل شرور شاول، وجد فيه داود شيئاً يمتدحه .
بل قال "شاول ويوناثان المحبوبان والحلوان في حياتهما.." (٢صم ١ : ٢٣). هاتان
الصفتان يمكن أن ينطبقا على يوناثان وحده، فكيف أن داود ضم فيها شاول إلى يوناثان؟!
وقال عنهما "المحبوبان والحلوان في حياتهما!!" أعله في ساعة الموت يمكن أن ينسى
الإنسان كل إساءات عدوه؟ أم هي طبيعة داود، الذي لا يحمل في قلبه حقداً، ولم يكن يرى
شاول إلا باعتباره مسيح الرب.. وكان يرى حروبه حروباً للرب، وأنه في حروب الرب
كان أخف من النسور، وأشد من الأسود.. لذلك قال "لا تخبروا في جت. لا تبشروا في
أسواق اشقولون.. لئلا تشمت بنات الغلف" (٢صم ١ : ٢)

✱ ✱ ✱

أما عن صديقه وحبيبه يوناثان، فقال :

قد تضايقت عليك يا أخى يوناثان. كنت حلواً لى جداً. محبتك لى أعجب من محبة
النساء" (٢صم ١ : ٢٦). محبة النساء هي محبة جسدية. أما محبة هذا الأخ والصديق،
فكانت محبة روحية، فيها الوفاء والبذل، والمودة والعهد. وكانت تحمل نبل يوناثان، وما

قابل به داود من نبل، بعد موته .

بموت شاول، انتهى فصل من مشاكل داود. ولكن لم تنته كل مشاكله..

فقد قابل مشاكل كثيرة في حياته بعد ذلك كملك : مشاكل من أبنير رئيس جيش شاول، ومشاكل من يواب رئيس جيشه هو، ومشاكل من أبشالوم، ومن أخيتوفل، ومن آخرين. وقد تصرف فيها بوداعة وهدوء ونبل، كما سنرى..

ربما يظن شخص - إذا تخلص من مشكلة رئيسية في حياته، أنه قد استراح إلى الأبد.. ثم لا يلبث أن تصادفه مشاكل أخرى.. المهم في الإنسان أن تكون له النفسية القادرة على مواجهة المشاكل أياً كان عددها أو نوعها. لأنه إن هرب من مكان فيه مشكلة، قد تقابله مشكلة في مكان آخر. وإن هرب من شخص ما، ربما تقابله مشكلة من شخص آخر ...



وداود، عندما إنتهى من مشاكل شاول، قابلته مشاكل من آخرين، ومن داخل نفسه أيضاً ...

فبعد موت شاول، أخذوا داود ونصبوه ملكاً في حبرون. صعد إلى حبرون بأمر إلهي. "وأتى رجال يهوذا، ومسحوا هناك داود ملكاً على بيت يهوذا" (٢صم ٢: ١، ٤).. ولكن ماذا عن باقي الأسباط؟ وماذا عن بيت شاول الملك: هل لا يطالبون بميراث؟! هنا ونقول: ١ - كانت أول مشكلة قابلت داود تتعلق بتثبيت ملكه .

حقاً إنه لم يفعل شيئاً من ذاته. ولم يستقل عن الله كما فعل شاول من قبل. إنما كان يستشير الله في كل شيء. يقول الكتاب "إن داود سأل الرب قائلاً هل أصعد إلى إحدى مدن يهوذا؟ فقال له الرب إصعد. فقال داود : إلى أين أصعد ؟ فقال الرب إلى حبرون. فصعد داود إلى هناك.." (٢صم ٢: ١، ٢).. وهناك مسحوه ملكاً.

مَعَ ابْنِير

ومع ذلك، سمح الله أن يوجد لداود ملك آخر ينافسه !

★ أبنير رئيس جيش شاول أخذ أيشبوشث أحد أبناء شاول، وجعله ملكاً على الآشوريين، وعلى يزرعيل، وعلى إفرايم، وعلى بنيامين، وعلى كل إسرائيل (٢صم ٢: ٨، ٩). وهكذا أصبح هناك ملكان في وقت واحد: داود بأمر الله، وأيشبوشث بتدبير من أبنير.

أما داود فقد صمت وانتظر الرب .

إنه دائماً يعمل مع الله، وينتظر عمل الله من أجله. فما الذى حدث ؟ اختلف أبنيير مع أيشبوشت بسبب امرأة، وقرر أبنيير ردّ الملك إلى داود، وذهب ليقطع عهداً مع داود. غير أن يوباب رئيس جيش داود قتل أبنيير غيلةً إنتقاماً لأخيه عسائيل ...

✱ ✱ ✱

ولما سمع داود بمقتل أبنيير، بكى عليه ورثاه .

وقال " إني برئ أنا ومملكتي لدى الرب إلى الأبد من دم أبنيير بن نير. فليحل (دمه) على رأس يوباب وعلى كل بيت أبيه.. " (٢صم ٣: ٢٨). وقال داود ليوباب ولجميع الشعب الذين معه: "مزقوا ثيابكم، وتنتطقوا بالمسوح، والطموا أمام أبنيير". وسار داود وراء النعش، ورفع صوته وبكى على قبر أبنيير، وبكى جميع الشعب.

نسى داود أن أبنيير هذا هو الذى عين واحداً من أبناء شاول ملكاً ينافس.. ورثا أبنيير وقال: ألا تعلمون أن رئيساً وعظيماً سقط اليوم فى إسرائيل. وصام داود. ولما احضروا له طعاماً، رفض أن يأكل، وقال "هكذا يفعل لى الله وهكذا يزيد، إن كنت أذوق خبزاً أو شيئاً آخر إلى غروب الشمس.. وحسن كل ذلك فى أعين الشعب. (٢صم ٣: ٣١ - ٣٨).. عرفوا أن ملكهم على خلق، وله مبادئ روحية، ولا يسفك دماً بريئاً حتى لو كان لشخص صنع به شراً من قبل.

لقد بكى داود ثلاث مرات لموت أعدائه:

بكى لما مات شاول، الذى طارده من بركة إلى أخرى، ومعه جيش من ثلاثة آلاف رجل محاولاً أن يقتله ..

وبكى على أبنيير رئيس جيش شاول الذى عين أيشبوشت ملكاً لينافسه.

وبكى على أبشالوم الذى خانه - وهو ابنه - ودخل على سراريه، وكون جيشاً ضده وحاربه، كما سنرى فيما بعد. إن داود لم يشمت مطلقاً فى موت أعدائه، بل بكى عليهم وحزن لموتهم

✱ ✱ ✱

٢ - مشكلة أخرى قابلت داود، تتمثل فى يوباب رئيس جيشه.

نعم يوباب ابن صرويه الذى قتل أبنيير، ومعه أبيشاي أخوه، ولم يستطع داود وقتذاك أن يقف ضدهما ويعاقبهما.. وقال داود فى ذلك "أنا اليوم ضعيف وممسوح ملكاً. وهؤلاء الرجال بنو صرويه أقوى منى. يجازى الرب فاعل الشر كشره " (٢صم ٣: ٣٩).

وقد ظلت قوة يوأب ضد داود قائمة إلى آخر حياته. بل كان يهدده أحياناً. حتى أن داود لما بكى على أبشالوم ابنه بعد موته، جاء يوأب ليوبخه ويهدده قائلاً له " لقد أخزيت اليوم وجوه جميع عبيدك منقذى نفسك اليوم ... بمحبتك لمبغضيك، وبغضك لمحبيك.. فالآن قم وأخرج وطيب قلوب عبيدك. لأنى قد أقسمت بالرب : إنه إذا لم تخرج، لا يبيت أحد معك هذه الليلة. ويكون ذلك أشر عليك من كل شر اصابك منذ صباك إلى الآن " (٢ صم ١٩ : ٤ - ٧). ولم يستطع داود أن يقاومه، فقام وفعل كما أراد يوأب ...

مَعَ إِيشِبُوشْت

٣ - مشكلة ثالثة قابلت داود، وهى الفهم الخاطئ لبعض الناس فى إرضائهم له بقتل أعدائه!!

وهو كان نبيلاً نزيهاً من هذه الناحية. أما الجيل الذى عاش فيه فلم يكن فى مثل نبله. والأمثلة كثيرة، نذكر هنا منها :

إن أيشبوشث بن شاول، الذى نصبه أبنير ملكاً، لما سمع أن أبنير قد مات، ارتخت يده وأرتاع معه جميع الشعب. فدخل عليه إثنان من رجاله - وهو مضطجع فى مخدع نومه، فقتلاه وقطعا رأسه وأخذاها إلى داود فى حبرون. وقالوا له "هوذا رأس أيشبوشث بن شاول عدوك الذى يطلب نفسك. وقد أعطى الرب لسيدى الملك انتقاماً فى هذا اليوم من شاول ومن نسله " (٢ صم ٤ : ٧، ٨).



ولكن داود، الملك العادل الذى لا ينتقم لنفسه، عاقب هذين اللذين بشرّاه بقتل عدوه: وقال لهما: حىّ هو الرب الذى فدى نفسى من كل ضيق، إن الذى أخبرنى إنه قد مات شاول، وكان فى عينى نفسه كمبشر، قبضت عليه وقتل فى صقلع.. فكم بالحرى إذا كان رجلان باغيان يقتلان رجلاً صديقاً فى بيته على سريريه!! فالآن أما أطلب دمه من أيديكما وأنزعكما من الأرض؟" وأمر داود الغلمان فقتلوهما. وأما رأس أشبوشث فدفنوها فى قبر أبنير فى حبرون (٢ صم ٤ : ٩ - ١٢).

وهكذا كان داود درساً لشعبه فى نبل التصرف وفى إقامة العدل، والبعد عن الإنتقام. ومن الناحية الإيجابية : لما سمع أن أهل ياميش جلعاد، أخذوا جسد شاول الملك بعد مقتله ودفنوه، أرسل إليهم رسلاً، وقال لهم "مباركون أنتم من الرب، إذ قد فعلتم هذا

المعروف بسيدكم شاول فدفنتموه. والآن يصنع الرب معكم إحساناً وحقاً. وأنا أيضاً أفعل معكم هذا الخير " (٢صم ٢: ٥-٧). وعزاهم وشدهم .

مَعَ بَيْتِ شَاوُل

★ ومن أجمل العبارات التي قالها داود، وتدل على نبله في معاملة أعدائه هي قوله :

هل بقي أحد من بيت شاول، فاصنع معه معروفاً ؟ (٢صم ٩: ١، ٣) .

فدلوه على مفيبوشث بن يوناثان بن شاول، وكان اعرج الرجلين، فاستدعاه داود فأتى إليه خائفاً، وقال له " أنا عبدك ". فطمأنه داود، وأعاد إليه كل حقول شاول وكل ما كان يملك، وأوصى عليه عبده صيبا لخدمه، ودعاه ليأكل باستمرار على مائدة الملك. وأسكنه في بيت في أورشليم .

أحسن داود إلى كل بيت شاول عدوه، استجابة لطلب شاول الذي قال له "إني علمت أنك تكون ملكاً، وتثبت بيدك مملكة إسرائيل. فأحلف لي الآن بالرب أنك لا تقطع نسلي من بعدى، ولا تبعد إسمي من بيت أبي". فحلف داود لشاول (١صم ٢٤: ٢٠-٢٢). وبرّ داود بعهده لشاول .

وكذلك كان داود باراً بعهده ليوناثان صديقه (١صم ٢٣: ١٨). وبرّ داود بعهده كعادته. وهكذا اهتم بمفيبوشث بن يوناثان وأكرمه كل الإكرام، وإن كان مفيبوشث قد خانه فيما بعد .

مَعَ ابِشَالُوم

ثار أبشالوم على أبيه داود، ونافس في ملكه، وصار له جيش حارب به أباه. ودخل على سراري أبيه.. وضم إليه بعض مستشاري أبيه، مثل أخيتوفل الذي تأمر معه على قتل أبيه.. ومع كل ذلك لما احتدمت الحرب مع أبيه، أوصى داود قادة جيشه قائلاً "ترفقوا لي بالفتى أبشالوم" (٢صم ١٨: ٥).

ولما مات أبشالوم في الحرب، أنزعج داود "وصعد إلى عليه الباب، وكان يبكي ويقول هكذا وهو يتمشى "يا أبنى ابشالوم يا أبنى، يا أبنى أبشالوم. لا ليبنى متّ عوضاً عنك، يا أبشالوم ابنى، يا ابنى" (٢صم ١٨: ٣٣).

البَابُ الْخَامِسُ

ولاد

أخطاؤه وخطاياها

خطايا داود الرجل البار

قال الكتاب عن إيليا النبي، الذى أغلق السماء وفتحها، والذى صعد إلى السماء فى مركبة نارية (مل٢: ١١) (يع٥: ١٧، ١٨).

" إيليا كان إنساناً تحت الآلام مثلنا " (يع٥: ١٧) .

وهكذا كان داود أيضاً -كسائر البشر - إنساناً تحت الآلام. كان يحب الله، ويريد أن يسلك فى طريق الخير. وكان نقياً بطبيعته، وله أعمال بر وصفات مقدسة سبق أن تحدثنا عنها. ولكنه كأي إنسان من الممكن أن يخطئ. فعلى الرغم من بره، كانت له ضعفات..

✠ ✠ ✠

لو كانت حياة داود كلها إنتصاراً، لحسبناه من طبيعة غير طبيعتنا !!

أو أنه من بشرية غير بشريتنا ...! ولكن أخطاء داود تعطينا فكرة إنه شخص مثلنا، مع سمو فى الدرجة. فإن كان على الرغم من ضعفاته البشرية، قد وصل إلى القداسة العظيمة التى حدثنا عنها الكتاب، وإلى تلك الصلة العميقة بالله، فإن هذا يشجع كل إنسان ضعيف، بأنه يمكنه أن يصل كما وصل داود .

وهكذا أعطانا الكتاب المقدس فكرة عن أخطاء الأنبياء والرسل، كما أعطانا التاريخ فكرة عن أخطاء القديسين، لكي نعرف هذه الحقيقة :

إنه ليس أحد بلا خطية، إلا واحد وهو الله (مت١٩: ١٧) .

منذ البدء، أخطأ أبوانا آدم وحواء (تك٣). وأخطأ أبونا إبراهيم لما خاف وقال عن سارة إنها إخته، وتسبب بذلك فى مشاكل (تك٢٠: ٢ - ١٣). وأخطأ أبونا يعقوب لما خدع أباه اسحق (تك٢٧). وأخطأ سليمان الحكيم خطايا صعبة استحق بها عقوبة من الله (امل ١١). وأخطأ بطرس الرسول إذ أنكر المسيح ثلاث مرات (مت٢٦: ٧٤، ٧٥) ... وبالمثل أخطأ داود النبي أيضاً ...

✠ ✠ ✠

ليس معنى قداسة القديسين أنهم معصومون: فلا يمكن أن نقول عنهم إنهم بلا خطية، بالمعنى المطلق، الذى هو الله وحده .. إنهم أبرار، ولكنهم غير معصومين ...

كلمة قديس معناها أنه إنسان يحب الله من كل قلبه، ويجاهد فى سبيل الله بكل قوته. ويحاول بكامل إرادته أن يسلك فى طريق الرب. ولكن من الجائز أن الضعف البشرى

يوقعه في أخطاء. وكما قال الكتاب " الصديق يسقط سبع مرات ويقوم " (أم ٢٤ : ١٦).

✱ ✱ ✱

فما الفرق إذن - في السقوط - بين القديس وباقي الناس ؟

أ - الفرق الأول : هو أن القديس : القاعدة الأساسية في حياته هي البر. أما الخطية بالنسبة إليه - إذا أخطأ - فهي شئ طارئ، عابر، شئ غير متوقع ولا منتظر. أما الخطاة، فإن الخطية هي فساد في طبيعتهم. الخطية هي القاعدة الأساسية لحياتهم. وإن فعلوا برأ، يكون ذلك شيئاً طارئاً في حياتهم، وغير ثابت .

ب - كذلك فإن القديس إذا أخطأ، يقوم بسرعة من سقطته ولا يستمر في الخطأ، لأن معدنه سليم. أما الخطاة ففي سقوطهم، ما أسهل أن يلتذوا بالخطية ويستمروا فيها

كذلك نوع الخطية يختلف بين سقطة القديس وسقطة الخطاة الآخرين ..

✱ ✱ ✱

ج - أما إن وقع قديس في خطية بشعة - كداود - يظل تأثيرها مرارة نفس له

باستمرار..

وقع بطرس الرسول في خطية بشعة هي إنكاره للمسيح مع سبّ وحلف، فكانت النتيجة أنه " خرج خارجاً، وبكى بكاء مرأً " (مت ٢٦ : ٧٥). وظلت هذه المرارة في نفسه، حتى ساعة صلبه، إذ طلب أن يصلب منكس الرأس .

وبولس الرسول على الرغم من أنه اضطهد الكنيسة عن جهل قبل إيمانه بالمسيح، إلا أن المرارة ظلت في نفسه طول حياته، حتى أنه قال " أنا الذي لست أهلاً أن أدعى رسولاً، لأنني اضطهدت كنيسة الله " (١كو ١٥ : ٩). وقال أيضاً " أنا الذي كنت قبلاً مجدفاً ومضطهداً ومفترياً. ولكنني رُحمت، لأنني فعلت ذلك بجهل في عدم إيمان " (١ تي ١ : ١٣).

✱ ✱ ✱

داود أيضاً صارت خطيته سبب دموع دائمة له وإسحاق قلب.

ظلت تقلقه طول حياته. لم يكف قلبه عن الندم، ولا كفت عيناه عن الدموع.. قال "تعبت في تنهدي، أعوم كل ليلة سريري، وبدموعي أبلّ فراشي" (مز ٦ : ٦). وقال أيضاً "أبكيت بصوم نفسي.. جلعت لباسي مسحاً" (مز ٦٩ : ١٠، ١١) "من صوت تنهدي، لصق عظمي بلحمي.. أكلت الرماد مثل الخبز، ومزجت شرابي بالدموع" (مز ١٠٢ : ٥، ٩). وقال للرب "أجعل دموعي في زق عندك" (مز ١١٩). وقال له أيضاً "أنصت إلى دموعي".

✱ ✱ ✱

د - القديس يخطئ عن ضعف، أما الخطاة العاديون فعن فساد وإصرار .

يخطئون في كبرياء، وفي تحدٍ لله .. أما القديسون، فلأن الحرب كانت فوق قدرة احتمالهم. أو جاءت فجأة، بغير استعداد لها، أو وهم في حالة فتور، فعجزوا عن مقاومتها. وهذا ما حدث في خطية الزنى التي وقع فيها داود .

على أية الحالات، لو أن الشخص العادى تعرّض للحروب التي تعرّض لها القديسون وسقط، لكان سقوطه بدرجة أشدّ، وقيامه بدرجة أصعب ...

لقد أخطأ داود، وكانت له ضعفات كثيرة ذكرها الكتاب .

✱ ✱ ✱

ولم تكن خطية الزنى والقتل هي خطيته الوحيدة .

فمن ضمن خطاياہ عدّ الشعب (٢صم ٢٤: ١٠) .

ومن خطاياہ محاولته أن يقتل نابال الكرملى عندما رفض أن يعطيه زاداً له ولرجاله (١صم ٢٥). ولولا أن أبيجايل امرأة نابال تدخلت في الأمر ونصحته، ومنعته عن الإنتقام لنفسه، لكان قد ارتكب في تلك المناسبة شروراً كثيرة، وخلط عمل يديه بالدماء (١صم ٢٥: ٢٢). ولذلك قال داود لأبيجايل التي نصحته " إن الله أرسلك هذا اليوم لإستقبالى .. مبارك عقلك، ومباركة أنت، لأنك منعتى اليوم من إتيان الدماء وإنتقام يدي لنفسى" (١صم ٢٥: ٣٢، ٣٣) .

عجيب أن داود النبی الجبار، تمنعه عن الشر امرأة عادية .

هي زوجة نابال الكرملى. وعجيب أن تلك المرأة في ذلك الوقت كانت أكثر عقلاً وإتزاناً وحكمة من النبی العظيم مسیح الرب.. وكانت أكثر وداعة وهدوءاً من داود النبی. وكانت في ذلك الوقت أكثر إتضاعاً منه أيضاً ...

✱ ✱ ✱

إن الكتاب يعطينا أمثلة من الذين وبخوا أنبياء ...

لما داود أخطأ في عدّ الشعب، وبخه جاد النبی (٢صم ٢٤: ١١). ولما وقع في الزنى والقتل، وبخه ناثان النبی .. ولما أخطأ في محاولته قتل نابال الكرملى، وبخته امرأة ... إنه أمر كبير أن يوبخ نبي الرب ومسيحه من امرأة، ولكن الله أراد له أن يفيق، وأن المرأة في وداعتها ورقتها، يمكن أن تخزي ما كان في قلبه وقتذاك من قسوة وكبرياء .. ! يونان النبی - وهو نائم في السفينة، لا يصلی - وبخه رئيس النوتية، وكان أممياً ..

وقال له "مالك نائماً؟! قم أصرخ إلى إلهك" (يونس ١: ٦) .

✱ ✱ ✱

ليس أحد بعيداً عن الخطأ. وما أجمل قول الرسول في ذلك "لا تستكبر، بل خف" (روا ١١: ٢). وقوله أيضاً: "من يظن أنه قائم، فلينظر أن لا يسقط" (١كو ١٠: ١٢) .

الحرص أفضل، والإحتراس أفضل. وليس أحد فوق إمكانية السقوط. فليبعد كل إنسان عن فكر الغرور. وليقل لنفسه "لست أنا أقوى من داود الذي سقط" .. فلاحترس لنفسى .

✱ ✱ ✱

تذكر داود لخطايه، كان حصناً له من الكبرياء .

إنسان له كل تلك المواهب كداود، كان يمكن أن يحارب بالكبرياء أو يسقط بها. ولكن سمح الله أن تتخلى النعمة قليلاً عن داود، فيسقط، ويبكى ويندم، ويكتسب فضيلة الإنسحاق، وتصير دموعه له خبزاً نهاراً وليلاً .. فيحميه كل هذا من العظمة والمجد الباطل، فلا يرتفع قلبه .

✱ ✱ ✱

كان يضع خطيته أمامه في كل حين (مز ٥١: ٣) .

ولم ينس خطيته حتى بعد أن غفرها له الله ...

وكان يصلى ويقول للرب " لا تبكتنى بغضبك، ولا تؤدبنى بسخطك. ارحمنى يارب فأنى ضعيف. اشفنى فإن عظامى قد اضطربت، ونفسى قد أنزعجت جداً " (مز ٦) .
كان كل ذلك لفائدته الروحية. وقد استفاد داود من نتائج خطيته. تذلت نفسه من الداخل، ومن الخارج أيضاً .

ولما شتمه شمعى بن جيرا، منع أعوانه من قتله. وقال لهم "دعوه يسبّ، لأن الرب قال له سبّ داود" (٢صم ١٦: ٩، ١٠) .

وعندما أخطأ ابنه امنون مع ثامار (٢صم ١٣). ولما أخطأ ابنه أبشالوم مع سراريه (٢صم ١٦: ٢٢) .. لم يجرؤ داود أن يوبخ أحداً منهما.. كانت خطيته أمامه تبكته، وكذلك كانت نتائجها وعقوبتها (٢صم ١٢: ١١) ...

كان قلبه حساساً جداً من جهة علاقته بالله .

كان نفس الرجل القديس، بعد سقوطه.

قداسته فى إنسحاقه، لا تقل عن القداسة فى العفة وفى البر ...

خَطِيَّةٌ لَمْ تَكْمَلْ أَنْقَذَتْهُ مِنْهَا امْرَأَةٌ

فى أثناء هرب داود من مطاردة شاول له، عسكر هو ورجاله فى أرض من أملاك رجل يسمى نابال الكرملى. وهو رجل غنى، ولكنه كان بخيلاً وقاسى القلب ...
وقد قام داود بواجب الحراسة على أملاك نابال، فما حدث إعتداء من أحد على أرضه ولا على غنمه. وهكذا عاش داود ونابال فى سياسة حسن الجوار .. إلى أن أتى الوقت الذى يجر فيه نابال صوف غنمه. ويحدث هذا دائماً عند إقتراب الصيف، فلا تحتل الغنم ثقل الصوف مع حرارة الجو. فيستقدم صاحب الغنم جماعة من الجزازين لهذه المهمة. وهكذا تستريح الغنم من ثقل الصوف، وفى نفس الوقت يكون هذا الصوف ثروة لصاحب الغنم.

وفى تلك المناسبة كانت تقام الولائم للجزازين وللجيران والأصدقاء. وكان داود يظن أنه من الذين سيكرمهم نابال فى هذه المناسبة، وبخاصة وهو بلا مأوى وبلا مورد. وكان أحق الناس بالإكرام، لأنه قام بحراسة الغنم لوجوده فى المنطقة .

✱ ✱ ✱

وهكذا أرسل داود عشرة غلمان إلى نابال برسالة كلها مودة وتواضع، يطلب ما تجود به يده .

وقال للغلمان " اصعدوا إلى الكرمل، وادخلوا إلى نابال. واسألوا باسمى عن سلامته. وقولوا له هكذا : حييت وأنت سالم، وبيتك سالم، وكل مالك سالم. والآن قد سمعت أن عندك جزازين. حين كان رعاتك معنا لم نؤذهم، ولم يفقد لهم شئ كل الأيام التى كانوا فيها فى الكرمل. أسأل غلمانك فيخبروك. فليجد الغلمان نعمة فى عينيك، لأننا جئنا فى يوم طيب. فأعطِ ما وجدته يدك لعبيدك ولإبنك داود " (اصم ٢٥ : ٥ - ٨) .

✱ ✱ ✱

واضح أن عبارة (عبيدك وإبنك داود) فيها مع الطلب لون من الذلة، وكأنه يستجدي.
فلماذا سمح الله لمسيحه داود بهذا الموقف؟!

داود القائد العظيم الممسوح من الله ملكاً، الذى هتفت له النساء (اصم ١٨ : ٧) والذى كان يخافه الملك شاول (اصم ١٨ : ٢٩).. داود هذا يذل إلى درجة أن يطلب طعاماً لنفسه ورجاله بهذا الإسلوب!!

الحقيقة إن الله أراد له أن يتدرب ويتأدب بهذا الأسلوب قبل أن يتسلم مقاليد الملك. يتجرب بالإحتياج والمذلة. حتى إذا ما جلس على عرش الملك، يشفق على المحتاجين والمذلين. وأيضاً يجرب ضغط غيره عليه، حتى لا يضغط فيما بعد على غيره. وفى هذا قال القديس بولس الرسول " اذكروا المقيدون كأنكم مقيدون معهم. واذكروا المذلين كأنكم أيضاً فى الجسد " (عب ١٣ : ٣٣). وقال الرب من قبل " احبوا الغريب، لأنكم كنتم غرباء فى أرض مصر " (تث ١٠ : ١٩) .. إنكم عارفون نفس الغريب، لأنكم كنتم غرباء فى أرض مصر " (خر ٢٣ : ٩) .



وسمح الله لداود بهذه التجربة مع نابال، حتى يعرف داود ضعفاته نفسه .
لما أوصل الغلمان رسالة داود إلى نابال، احتقرها، وأجاب بجفاء وكبرياء قائلاً " من هو داود، ومن هو ابن يسي؟! قد كثر اليوم العبيد الذين يفحصون كل واحد أمام سيده. آخذ خبزي ومائي وذبيحي الذى ذبحت لجازي، وأعطيته لقوم لا أعلم من أين هم ؟!" (١ صم ٢٥ : ١٠، ١١). ووصلت هذه الإجابة إلى داود، وأحدثت ردود فعلها عنده. فتقلد داود سيفه، وأمر رجاله أن يتقلدوا كل واحد سيفه، وصعد لقتل نابال وكل من له وكل ماله. وصعد وراء داود نحو من أربعمئة رجل .



وهكذا رأينا أن داود المتواضع، كان فى داخله وحش نائم فى أحشائه استيقظ فى الحين المناسب .

ظهرت هذه الخطية التى كانت مخفأة فى داخله، كشفها بخل نابال واحتقاره لداود. إننا نصلى فى المزمور ونقول " اذكر يارب داود وكل دعتة " (مز ١٣١ : ١). أما الآن فقد ظهر الوحش الكاسر الذى فى قلبه، الذى كثيراً ما قتل من قبل وسفك دماء كثيرة ...
قال داود وهو متقلد سيفه مع رجاله " إنما باطلاً حفظت ما لهذا فى البرية، فلم يفقد من

كل ماله شيء، فكافأني شراً بدل خير. هكذا يصنع الله لأعداء داود وهكذا يزيد، إن أبقيت من كل ما له إلى الصباح بائلاً بحائط " (اصم ٢٥: ٢١، ٢٢) .

إذن الشر كان قد أعدّ لنابال وكل بيته. فمن المنقذ ؟

✱ ✱ ✱

هنا تدخلت أبيجايل زوجة نابال، لإنقاذ الموقف ..

كانت امرأة جيدة الفهم وجميلة الصورة (اصم ٢٥: ٣). أخبرها أحد غلمانها بكل ما حدث، وامتدح ما قام به داود ورجاله من حراسة لهم، وقال عنهم : كان الرجال محسنين إلينا جداً. فلم نؤذ، ولا فقد منا شيء كل أيام ترددنا معهم ونحن في الحقل . كانوا سوراً لنا ليلاً ونهاراً كل الأيام التي كنا فيها معهم نرعى الغنم " (اصم ٢٥: ١٤ - ١٦) .

وكان على أبيجايل أن تتصرف بسرعة قبل وقوع الكارثة .

وتتصرف من غير زوجها، وبدون علم زوجها .

مادام ذلك الزوج كان أحق في تصرفه، فما كان من الحكمة أن تستشير حماقته، أو أن تترك لحماقته إدارة الموقف. إنها الآن بصدد إنقاذه وإنقاذ كل البيت من الخطر القادم. وهو خطر ليس من إنسان عادي، وإنما من أحد أبطال الحرب، ومن رجل يعرف الكل أن الرب معه .

✱ ✱ ✱

وبدأت في تهدئة مشاعر داود، بهدية تقدمها .

وهذه الهدية تسمح بها ذنب زوجها البخيل، وتحقق بها الطلب الذي كان قد طلبه داود حينما أرسل غلمانه إلى نابال " فبادرت وأخذت مئتي رغيف خبز، وزقي خمر، وخمسة خرفان مهياة، وخمس كيلات من الفريك، ومئتي عنقود من الزبيب، ومئتي قرص من التين. ووضعتها على الحمير، وقالت لغلمانها اعبروا أمامي. وركبت على حمارها، ومضت لإستقبال داود ولم تخبر رجلها " (اصم ٢٥: ١٨ - ٢٠) .

قطعاً لو أنها أخبرت نابال بأنها ستحمل كل هذه الكمية من الطعام إلى داود، كان يطردها من البيت أو يطلقها !..

هناك أمور تضطر المرأة الحكيمة أن تعملها بدون علم زوجها، وبخاصة إن كانت بصدد إنقاذه من نفسه، وهو رافض لذلك .. إن كان زوجها لا يحب الخير، ويمنعها من

عمل الخير، فستضطر إلى عمل ذلك فى الخفاء .. فكم بالأولى تضطر إلى ذلك إن كانت ستتخذ البيت كله من كارثة .. وهكذا تصرف أبىجايل .

✱ ✱ ✱

وفى حكمتها، أضافت إلى هديتها، كل مشاعر الإلتضاع .

لما رأت داود " أسرع وتزلت عن الحمار، وسقطت أمام داود على وجهها، وسجدت إلى الأرض. وسقطت على رجليه وقالت : علىّ أنا يا سيدى هذا الذنب. ودع أمتك تتكلم فى أذنك. واسمع كلام أمتك. ولا يضعن سيدى قلبه على هذا الرجل اللئيم ."

واضح كلام الإلتضاع فى قولها " سيدى " و " أمتك " . وقد تكرر هذا التعبير مراراً كثيرة فى كلامها. كذلك سجودها أمامه، وسقوطها عند قدميه .

ومن مظاهر إلتضاعها إعتذارها عن خطأ نابال .

بقولها " علىّ أنا يا سيدى هذا الذنب " وقولها " هذا الرجل اللئيم .. والحقاقه عنده ". وقالت أيضاً لداود " وأنا أمتك لم أرَ غلمان سيدى الذين أرسلتهم .. " .

✱ ✱ ✱

ووسط هذا الإعتذار، أدخلت عبارة توبيخ بأسلوب مديح .

فقالت " والآن يا سيدى : حىّ هو الرب، وحية هى نفسك، إن الرب قد منعك عن إتيان الدماء وإنتقام يدك لنفسك " .

فأظهرت له أنه كان فى سبيل إرتكاب خطيئتين : القتل (إتيان الدماء) والإنتقام (إنتقام نفسه لنفسه). وهما خطيئتان لا تليقان بنبى مثله، له شهرة معروفة ...

ولم تقل له إنها هى التى منعتة عن الإنتقام والقتل، وإنما قالت "إن الرب قد منعك " . وفى نفس الوقت الذى لم تتفخر فيه بأنها هى التى منعتة عن الخطأ، أظهرت بعبارة " الرب قد منعك "، أن تصرفه لا يرضى عنه الله بل يمنعه ..

أما عن نابال وتصرفاته، فقالت له " ليكن كنبال أعدائك الذين يطلبون الشر لسيدى ". وهنا ذكرته بأن له أعداء يريدون الشرّ به. فمن الأفضل ألا يطلب هو الشر لأعدائه .

✱ ✱ ✱

كانت أبىجايل من النوع الذى يقول كلمة ناعمة وراءها كلمة شديدة. ثم كلمة شديدة بعدها كلمة ناعمة .

أو من النوع الذى يقول عنه المثل البلدى " يضرب ويلقى " .

فبعد كلمة التوبيخ التي قالت فيها " إن الرب منعك عن إتيان الدماء وإنتقام نفسك لنفسك " عادت تقول " والآن خذ هذه البركة التي أتت بها جاريتك إلى سيدى. فلتعط للغلمان السائرين وراء سيدى. واصفح عن ذنب أمتك " (اصم ٢٥: ٢٧، ٢٨) .

فهى لم تظهر بمظهر المحسن إلى إنسان جائع .

وإنما قالت إنها قدمت هذه الهدية ليعطيها للغلمان السائرين وراءه (وراء سيدى). فهو سيد، ويقدم ما تعطيه إلى غلمانه. والتي تعطى هى جاريتك، وتعطيها إلى سيدها. وتطلب صفح سيدها عن أمته .

إسلوب إتضاع عجيب يخفى إحسانها إليه. وهو فى نفس الوقت درس لمن يقدمون إلى غيرهم معونة بلون من تعالى. أما أبيجايل، فقدمت، بإسلوب جارية تقدم إلى سيدها، لكى يعطى ما تقدمه للغلمان السائرين وراءه. وهى تقدم بأسلوب أمة تطلب الصفح عن ذنب ارتكبه زوجها، فاعتبرته ذنباً لها ...

✱ ✱ ✱

حقاً إن التوبيخ الجارح لا يصلح علاقات، بل الكلمة الطيبة هى التى تصلح .

وعادت أبيجايل إلى إسلوب مديح تهدئ به قلب داود الغاضب، فذكرته بوعود الله له قائلة " لأن الرب يصنع لسيدى بيتاً أميناً. لأن سيدى يحارب حروب الرب، ولم يوجد فيك شر كل أيامك. وقد قام رجل ليطاردك ويطلب نفسك. ولكن نفس سيدى لتكن محزومة فى حزمة الحياة مع الرب إلهك. وأما نفس أعدائك، فليرم بها كما من وسط كفة المقلاع " (١ اصم ٢٥: ٢٨، ٢٩) .

كلام كله مديح، وكله إحترام وتقدير. وكلام ممزوج بالإتضاع وبعبارة (سيدى) وأيضاً يحمل كلامها شعورها بما يحق بداود من آلام ومطاردات، وإنضمامها إليه بكل مشاعرها، ودعائها من أجله. وعبارة (المقلاع) تذكره بانتصاره على جليات.

✱ ✱ ✱

والعجيب أنه وسط كل هذا المديح العميق، عادت تنصحه فيما كان ينوى أن يرتكبه من قتل وإنتقام .

فقالت له " ويكون عندما يصنع الرب لسيدى حسب كل ما تكلم به من الخير من أجلك، ويقيمك رئيساً على إسرائيل، إنه لا تكون لك هذه مصدمة ومعثرة قلب : إنك قد سفكت دماً عفواً، أو أن سيدى قد إنتقم لنفسه " (اصم ٢٥: ٣٠، ٣١) .

إنها تكلمه بأسلوب إنسان يعرفه ويقدره. زوجها نابال قال عنه "من هو داود؟ ومن هو ابن يسي؟!" (اصم ٢٥ : ١٠). أما هي فتعرف من هو داود ؟ هو الإنسان الذى وعده الله بكل خير، وأنه سيقومه ملكاً على إسرائيل. فهو إذن الملك المنتظر، مسيح الرب، الذى بكل ضمير صالح تسجد أمامه، وتقول له سيدى. وهى تعرف عنه أيضاً إنه " يحارب حروب الرب " ولم يوجد فيه شر كل أيامه ... ولكن ..

ولكن أبيجايل لم تكن فقط معذرة عن خطأ ارتكبه نابال، إنما أيضاً ناصحة بخصوص خطأ لا تريد لداود أن يرتكبه .

كانت صغيرة أمامه فى سجودها عند قدميه، وفى عبارات سيدى وجاريتك، وأمتك. ولكنها كانت كبيرة كناصحة ومرشدة .. وكانت أيضاً قلباً كبيراً يشفق عليه من ارتكاب الشر، ويريد أن يحميه من خطيئة تكون له فى المستقبل مصدمة ومعثرة قلب، وتشوه صورته الجميلة كمسيح للرب، وكأنسان بار لم يوجد فيه شر كل أيامه ... إنه إنسان يحارب حروب الرب، فلا يليق به أن يحارب إنتقاماً لنفسه ..

✱ ✱ ✱

واختتمت حديثها له فى كل ما يحوى من إعتذار وإتضاع ونصح، بقولها " وإذا أحسن الرب إلى سيدى، فاذكر أمتك " .

تذكرنى هذه العبارة الأخيرة بقول اللص النائب للسيد المسيح على الصليب " اذكرنى يارب متى جئت فى ملكوتك " (لو ٢٣ : ٤٢).

كان داود فى ذلك الحين، يحمل صليبه من شاول الملك، فى آلام مستمرة ولكن أبيجايل كانت تؤمن أن الرب سوف يحسن إليه ويقومه رئيساً وملكاً. فطلبت منه أن يذكرها متى جاء الملك إليه .. وقد كان. وكما قال الرب للص " اليوم تكون معى فى الفردوس " .. هكذا صارت أبيجايل مع داود زوجة له، بعد موت زوجها نابال (اصم ٢٥ : ٣٩ - ٤٢) .

إن حكمة أبيجايل فى هديتها وإتضاعها ومديحتها ونصيحتها.. كل ذلك ترك أثره العميق فى داود .

فقال لها " مبارك الرب إله إسرائيل، الذى أرسلك هذا اليوم لإستقبالى. ومبارك عقلك، ومباركة أنت، لأنك منعتنى اليوم عن إتيان الدماء وإنتقام يدى لنفسى .. " " وأخذ داود من يدها ما أتت به إليه. وقال لها : إصعدى بسلام إلى بيتك. أنظرى قد سمعت لصوتك،

ورفعت وجهك " (اصم ٢٥ : ٣٢ - ٣٥) .

بسماعه صوتها، سمع صوت ضميره، واستجاب للخير الذي فيه .

وهذه الخطية التي عزم على ارتكابها، لم ينفذها عملياً. ولكنها كانت في قلبه لولا

أبيجايل (اصم ٢٥ : ٣٤) .

صارت أبيجايل زوجة له فيما بعد، لتكون معينة له بحكمتها. وأنجب منها ابنه كيلاّب

(اصم ٣ : ٣) وهو ثاني أبنائه. ولما دخل حبرون كملك كانت معه (اصم ٢ : ٢ ، ٣) .

سَقَطَةُ داود الكبرى

كان داود النبي يتحلى بالكثير من الفضائل .

كان له النبل العجيب، والإحسان إلى مبغضيه، وإحترام الكبار احتراماً يفوق الوصف. وكان إنساناً شجاعاً، جبار بأس، ومع ذلك يتحلى بالوداعة وإتضاع القلب أمام الله والناس. وكان يتميز بالأدب الجم، وتوجد حلاوة في طبعه، مثل الحلاوة التي كانت في عينيه. وكان شاعراً رقيق الحس، وموسيقياً يحسن الضرب على العود، ويحسن العزف على المزمار والقيثار والعشرة الأوتار. كما أنه يحسن الغناء، حتى تسميه الكنيسة مرنم إسرائيل الحلو، ويلقبه الكتاب بإمام المغنين. وله صفات جميلة كثيرة، ذكرناها في الباب الأول في حديثنا عنه كإنسان متعدد المواهب ...

✱ ✱ ✱

ومع ذلك كله كانت توجد فيه بعض نقاط ضعف، أسقطته .

ولعل من أبرز نقاط ضعفه محبته للنساء، وسقطته الكبرى التي سنتحدث عنها الآن، إذ سقط مع بثشبع زوجة أوريا الحثي .. على الرغم من أنه كانت له في ذلك الوقت سبع نساء : أخينوعم اليزرعيلية، وأبيجايل أرملة نابال الكرملی، ومعكة بنت تلمای ملك جشور، وحجيث، وأبيطال، وعجلة (٢صم ٣: ٢ - ٤)، بالإضافة إلى ميكال ابنة شاول الملك ...

✱ ✱ ✱

ولكن داود الذي لم يقوَ عليه جليات الجبار، قويت عليه امرأة!

داود الذي لم يقوَ عليه شاول الملك ولا قائد جيشه، ولا يواب بن صرويه قائد جيشه هو، قدرت على إسقاطه بثشبع ... ولكي لا نظلم المرأة ... لا نقول إن المرأة هي التي

أسقطته، وإنما أسقطه ضعفه أمام إغراء النساء. كان في طبيعة تلك المرأة أو في جمالها، ما عجز هو عن مقاومته، حتى لو لم تسع المرأة لإسقاطه...! وهكذا سقط الجبار، وصدق قول ابنه سليمان الحكيم في سفر الأمثال، عن هذه الخطية بالذات، إنها :

" طرحت كثيرين جرحى، وكل قتلها أقوياء " (أم ٧: ٢٦) .

حقاً، إنه في حياة كثير من الجبابرة، توجد نقاط ضعف، يسمح الله بها لكي نعرف أن الطبيعة البشرية ما أسهل أن تميل وأن تضعف، على الرغم من وجود ميزات أخرى فيها...!



ولكن، كيف سقط داود ؟

يقول الكتاب إن في وقت المساء " قام داود عن سريرته، وتمشى على سطح بيت الملك، فرأى امرأة تستحم. وكانت المرأة جميلة المنظر جداً. فأرسل رسلاً وأخذها .. وأخطأ إليها " (٢ صم ١١: ٢-٤). وحبلت المرأة، وأعلم داود. وأخذ يفكر كيف يتخلص من نتائج الخطية ...

ولعل هذه الخطية قد سبقتها مقدمات أوصلت إليها .

كان داود قد بدأ يدخل في حياة الرفاهية ...

قديماً كان يقود الجيش بنفسه .. أما الآن ففي الحرب " أرسل يوب، وعبيده معه، وجميع إسرائيل " (٢ صم ١١: ١). وبقي هو في القصر، يتمشى على السطح، ويسمح لنفسه أن ينظر إلى امرأة تستحم !! حقاً إن خطوة في الخطية، يمكن أن تقود إلى أخرى.. داود وهو مطارِد من شاول، هارباً من برية إلى أخرى، ما كانت أمامه فرصة للخطأ. أما داود الذي يعيش حياة الرفاهية في "بيت الملك"، ولا يحارب، بل يرسل الجيش ليحارب، صارت له حروبه الداخلية بدلاً من حروب الأعداء .



هناك نقطة أخرى ذكرها الآباء القديسون، حينما قالوا :

كل خطية : تسبقها إما الشهوة، أو الغفلة، أو النسيان .

كثير من الناس في ساعة الخطية، يكونون في حالة غفلة .. لا يشعرون أثناءها بما يفعلون، ولا يقدرّون على ضبط أنفسهم، بل لا يحاولون ذلك ... وربما بعد الخطية يفيقون

ويستيقظون، ويضربهم قلبهم ضرباً شديداً، ويوجعهم ضميرهم، ولكن بعد فوات الفرصة..

ولعل داود كان فى حالة الغفلة هذه !!

وكان بعيداً وقتها عن المزمور والمزمار !

ما كان يدرك ما يفعل ... بل كل تفكيره كان فى شهوته أولاً، ثم فى الهروب من نتائجها ثانياً. وحاول بكافة الطرق أن يغطى الخطية بحيلة بشرية، بورقة تين آدمية، بلون من الخداع، باستدعاء أوريا زوج المرأة لكى يضطجع معها، ويحسب حبلاً منها. ولكن الرجل كان أكثر نبلاً وعفة من داود وقتذاك، فرفض بعزة نفس، وقال كيف يكون الجيش فى خيام على وجه الصحراء " وأنا أتى إلى بيتى لأكل وأشرب وأضطجع مع إمرأتى. وحياتك وحياة نفسك، لا أفعل هذا الأمر " (٢صم ١١: ١٠، ١١) .

✱ ✱ ✱

ولما فشل داود أمام أوريا الحثى، دبر لقتله !!

بأن يضعه فى مقدمة الجيش فى موضع خطر، ليموت. ومات فعلاً وأعتبرت هذه منه جريمة قتل. وأنبئ داود بمقتل أوريا، فلم يبال، ولم يبك عليه مثلما بكى على شاول وعلى أبنيير، وإنما أرسل إلى يואب قائد الجيش يقول له "لا يسؤ هذا الأمر فى عينيك، لأن السيف يأكل هذا وذاك " (٢صم ١١: ٢٤، ٢٥) .

بل حدث أكثر من هذا، أنه لما تمت أيام مناحة بثشبع على زوجها " أرسل داود، وضمها إلى بيته، وصارت له إمرأة، وولدت له ابناً " ... !

✱ ✱ ✱

وإلى ذلك الوقت، كان ضميره نائماً، واحتاج إلى من يوقظه.

لم يكن داود النبى مسيح الرب هو الذى يتصرف، إنما الحيوان الكامن فى أحشائه، الشهوة والغفلة والنسيان ... وكان يتدحرج إلى أسفل من خطية إلى خطية، وهو ساه عن نفسه .. ! إنه ملك، يتصرف بسلطان الملك : يأمر فيحضرون له المرأة، يأمر فيقتلون له رجلها، يأمر فتصير له زوجة، وتعيش فى بيته، وتصير الثامنة بين نسائه ... لا وبخه ضميره، ولا أوجعه قلبه. ولا ندم فى داخله، ولا شعر أنه أخطأ، ولا طلب مغفرة ... وهنا يقول الكتاب :

"وأما الأمر الذى فعله داود، فقبح فى عيني الرب " (٢صم ١١: ٢٧) .

✱ ✱ ✱

لم يكن هناك سلطان أعلى من داود في أرضه، فلا بد من سلطان السماء ليتدخل. لم نسمع أن أحداً وبخ داود على كل ما فعل، فكان لابد أن يرسل له الله من يوبخه. وهكذا أرسل له ناثان النبي، الذي ضرب له مثلاً يشعره فيه ببشاعة فعله. ولكنه ما كان يحسن أن المثال ينطبق عليه، فقال في براءة وشهامة من يدافع عن الحق ويقيم العدل : " حيّ هو الرب، إنه يقتل الرجل الفاعل ذلك " فقال له ناثان : " أنت هو الرجل " (٢صم ١٢ : ١ - ٧).



وأعلن ناثان عقوبة أرضية أوقعها الله على داود، ووبخه بشدة .

إن الله لا يجامل أولاده في أخطائهم. وكما يقيم العدل على غير المؤمنين، يقيمه أيضاً على النبي مسيح الرب ويعاقبه. وكما قال في البدء لقائين إن " صوت دم أخيك صارخ إلى من الأرض " (تك ٤ : ١٠)، وهكذا أيضاً كان دم أوريا الحثي صارخ إلى الله ضد داود. فواجه الرب داود قائلاً " قد قتلت أوريا الحثي بالسيف، وأخذت امرأته لك امرأة ... والآن لا يفارق السيف بيتك ". وأعتبر الرب أن الخطية موجهة إليه، فقال لداود " أنت أحتقرتني، وأخذت امرأة أوريا الحثي ... وفرض عليه عقوبة (٢صم ١٢ : ٧ - ١١). إن الله يرى ما يعمل في السرّ ويعاقب عليه. وينتقم لهابيل ولأوريا الحثي، ممن كان أقوى منهما ...



نستطيع أن نقول إن داود إستفاد من نتائج خطيته .

استيقظ، وشعر بذنبه واعترف به قائلاً " قد أخطأت إلى الرب ". فأجابه ناثان " الرب أيضاً قد نقل عنك خطيئتك، لا تموت " (٢صم ١٢ : ١٣) ... نقلها من حسابك إلى حساب المسيح ليحملها نيابة عنك ويموت عنها . بدأ داود يشعر بعمق خطيته، ويقوده هذا إلى التوبة، وإلى إنسحاق القلب، وإلى ينبوع من الدموع لا ينضب .

وأعطته السقطة مذلة قلب وإتضاع فكر .

حتى أنه أثناء هربه من أبشالوم، لما قابله شمعي بن جيرا، وسبّه مسبة شديدة، وأخذ يرشقه بالحجارة. وقال له " أخرج أخرج يا رجل الدماء ورجل بليعال .. ". واراد أصحاب داود أن يقتلوا شمعي بن جيرا، منعهم داود من ذلك وقال لهم " دعوه يسب. لأن

الرب قال له سبّ داود " (٢صم ١٦: ٥ - ١٠) .

✱ ✱ ✱

وكانت التوبة التي تبعت سقطته، ينبوعاً لمشاعر عميقة تدفقت في مزاميره .

منها قوله "يا رب لا تبتكتني بغضبك، ولا تؤدبني بسخطك. ارحمني يا رب فإنني ضعيف. اشفني فإن عظامي قد اضطربت ونفسي قد انزعجت جداً" (مز ٦: ١، ٢). وقوله أيضاً "تعبت في تنهدى. اعمّ في كل ليلة سريري، وبدموعي أبل فراشي" (مز ٦: ٦). وبسبب هذه السقطة قال مزمور التوبة العجيب، المزمور الخمسين:

وقال فيه "ارحمني يا الله كعظيم رحمتك ... انضح على بزوفاك فاطهر، واغسلني فأبيض أكثر من الثلج ... اصرف وجهك عن خطاياي، وامح كل آثامي" (مز ٥٠) .

✱ ✱ ✱

سمح الله بسقطة داود، لتحمي فضائله من الإفتخار .

حتى لا يتكبر ولا يتعجرف ولا ينتفخ، بكثرة فضائله وكثرة مواهبه وكثرة إنتصاراته ... لقد سقط داود وقام. قام باكياً ومنسحقاً أمام الله. وقدم لنا مثلاً رائعاً للتوبة والدموع، حتى قال صارت لي دموعي طعاماً نهاراً وليلاً. " مزجت شرابي بالدموع". " أجعل دموعي في زق عندك " (مز ١١٩) " إنصت إلى دموعي"...

✱ ✱ ✱

بالإضافة إلى ذلله الداخلي، سمح له الله بإذلال آخر .

فمنعه من بناء الهيكل. وأعد داود كل شيء لابنه سليمان ليبنيه. أهد له الذهب والفضة، والخشب والحجارة. وكل شيء .

كان الله قد قال له " إنك أنت لا تبني البيت، بل ابنك الخارج من صلبك هو يبني البيت لإسمى " (١مل ٨: ١٩) (٢أى ٦: ٩) .

وهكذا كان داود مذلولاً أمام نفسه، ومذلولاً أمام الله .

لقد سقط داود المتزوج بسبع نساء، ولم يسقط يوسف الصديق في نفس الخطية، مع أنه كان أعزب في ذلك الوقت، وكانت الخطية هي التي تطلبه وتلح عليه. المهم إذن في نقاوة القلب من الداخل .

✱ ✱ ✱

سقطة داود أثبتت أن الحصانة الخارجية لا تكفي، فلا بد من حصانة في الداخل .

السبع زوجات لم يكن كافيات لمنعه من الوقوع في شهوة امرأة ثامنة. كما أن كل

أشجار الجنة لم تمنع حواء وآدم من إشتهاء شجرة أخرى .. إذن فليحاول كل إنسان أن تكون له نقاوة داخلية في قلبه، فهي التي تمنع عنه الخطية بنعمة الله، كما قال الكتاب :

"فوق كل تحفظ إحفظ قلبك، لأن منه مخرج الحياة" (أم ٤ : ٢٣)

مع ذلك نحن لا نريد أن نظلم داود كثيراً .

✱ ✱ ✱

الله كان يعرف أن خطاياه هي خطايا ضعف .

القاعدة الأساسية إنه كان يحب الله. ولكن عن ضعف كان يسقط. مثلما سقط بطرس

الرسول، وعلى الرغم من ذلك قال للرب " أنت يارب تعلم كل شيء. أنت تعلم أني أحبك "

(يو ٢١ : ١٧). خطيته أيضاً - في إنكار المسيح - كانت خطية ضعف .

لذلك نجد أن الله قال عن داود على الرغم من سقطاته :

" فحصت قلب داود، فوجدته حسب قلبي " .

ولما سقط سليمان قال عنه الكتاب إنه في شيخوخته " لم يكن قلبه كاملاً مع الرب مثل

قلب داود أبيه " (امل ١١ : ٤) .

ولما عاقب الرب سليمان بتمزيق مملكته، قال له " إلا إني لا أفعل ذلك في أيامك من

أجل داود أبيك .. على أني لا أمزق منك المملكة كلها، بل أعطى سبطاً واحداً لإبنك،

لأجل داود عبدي..." (امل ١١ : ١١ - ١٣) .

البَابُ السَّادِسُ

السِّنَوَاتُ الْآخِرَةُ لِرَأْوَدِ الْمَلِكِ

نقطة فاصلة

إن خطية داود الملك التي ارتكبها من جهة الزنا بإمرأة أوريا الحثي مع العمل على مقتل هذا القائد.. كانت نقطة تحول في حياة داود الذي كان قلبه - من قبل - كاملاً أمام الله (امل ١١ : ٤).

وبها دخل داود في مرحلة من التخلي إذ عاقبه الله..
وأثبت الله - تبارك اسمه - أنه لا يجامل أعباءه إن أخطأوا...
فكيف كان ذلك؟ فلنتتبع الأحداث إذن..

✱ ✱ ✱

١ - ذكرت خطية زنا داود في الاصحاح ١١ من سفر صموئيل الثاني.
وقد حاول التستر عليها بقدر ما يستطيع. ولما لم يقدر دبر مقتل الزوج أوريا الحثي في الحرب. ولما أتاه خبر مقتله، قابل الأمر بلا مبالاة. وقال ليوآب رئيس الجيش "لا يسؤ في عينيك هذا الأمر. لأن السيف يأكل هذا وذاك" (٢صم ١١ : ٢٥). ولما انتهت فترة ندب بثشبع لزوجها أوريا، "أرسل داود وضمها إلى بيته وصارت له امرأة وولدت له ابناً".
"أما الأمر الذي فعله داود، ففبح في عيني الرب" (٢صم ١١ : ٢٧).

فترات العقوبة والتخلي

١ - بدأ الرب بعقوبة لداود أرسلها بغم ناتان النبي.
منها "لا يفارق السيف بيتك" "أقيم عليك الشر من بيتك". وقال له الرب "من أجل أنك بهذا الأمر قد جعلت أعداء الرب يشمتون" (٢صم ١٢ : ١٠، ١١، ١٤).

✱ ✱ ✱

٢ - والضربة الثانية هي موت ابن داود (٢صم ١٢ : ١٥ - ١٨)
على الرغم من صومه وصلاته وتذليله لأجل حياة الطفل. غير أن الله لم يقبل كل

ذلك منه، وأمات ابنه (الذى ولد من الزنا) وحسناً فعل الرب بإماتة ابن داود. وإلا لصار هذا الابن بكرًا لسليمان الذى خلف داود فى ملكه.

واستسلم داود لهذا الحكم الإلهى، وقال عن ابنه "أنا ذاهب إليه. أما هو فلا يرجع إلى" (٢صم ١٢: ٢٣).

✱ ✱ ✱

٣ - الضربة الثالثة خطيئة ابنه أمنون مع ثامار أخته.

وقد وردت بعد ذلك فى (١صم ١٣). وكانت نتيجتها أن أبشالوم احب ثامار (شقيقها) قام بقتل أمنون (أخيه من أم أخرى) [٢صم ١٣: ٢٨، ٢٩].

فقد داود ابناً له، مع إفساد ابنة له. وهكذا دخل الفساد إلى بيته، واضطر أن يحتمل هذا العار.

وبدا أن يد الرب صارت عليه، وأنه قد دخل فى سلسلة من العقوبات. ولم يستطع داود أن يفعل شيئاً ضد أمنون فى اغتصاب أخته ثامار، ولا شيئاً ضد أبشالوم فى قتله لأخيه أمنون. لأنه شعر أن المشكلتين كلتيهما كانتا عقوبة من الرب له...

✱ ✱ ✱

٤ - بعد ذلك نرى فى (٢صم ١٣ - ١٧) أن مشاكل أبشالوم قد أخذت تزداد. فصار ينافس أباه داود فى ملكه.

"اتخذ لنفسه مركبة وخيلاً وخمسين رجلاً يجرون قدامه. وكان يقف بجانب طريق الباب. وكل صاحب دعوى آت إلى الملك لأجل الحكم كان أبشالوم يدعو إليه.. ويقول: من يجعلنى قاضياً فى الأرض فيأتى إلى كل إنسان له خصومة ودعوى فأنصفه" (٢صم ١٥: ١ - ٤).

✱ ✱ ✱

٥ - الضربة الخامسة لداود أن أبشالوم أقام فتنة وحرباً ضد أبيه، وانضم إليه أخيتوفل مشير داود.

وبهذا تعرض لخيانة من أحد كبار رجاله الذى كان يقدم مشورات لأبشالوم لتحطيم داود وقطع العلاقة بينه وبين ابنه بلا رجعة. وانضم إلى الخيانة كثيرون أيضاً وتبعوا أبشالوم الذى صار له جيش. وكل هذا كان يحز فى نفس داود.

✱ ✱ ✱

٦ - وبدأت خيانة أخرى من جانب سبط بنيامين تزعمها شمعى بن جيرا.

هذا الذى خرج يسب داود ويقول له "أخرج أخرج يا رجل الدماء ورجل بليعال. قد ردّ الرب عليك كل دماء بيت شاول الذى ملكت عوضاً عنه. وقد دفع الرب المملكة إلى يد أبشالوم أبئك" وكان يرشق داود بالحجارة" (٢صم ١٦: ٥ - ٨). ولما حاول رجال داود أن يقتلوا شمعى بن جيرا، منعهم داود قائلاً: الرب قال له سبّ داود (٢صم ١٦: ١٠). كان يعلم أن الأمر قد صدر من عند الرب كعقوبة له...

✠ ✠ ✠

٧ - بلغ الأمر من مذلة داود بسبب فتنة أبشالوم، أنه صعد جبل الزيتون باكياً ورأسه مغطى. وكان يمشى حافياً (٢صم ١٥: ٣٠).

وكان جميع الشعب الذين معه يصعدون وهم يبكون. وكان داود يصرخ إلى الله ويقول "حمق يارب مشورة أختوفل" (٢صم ١٥: ٣١). كان يعرف عقلية الرجل ومدى دهائه وما يمكن أن يقدمه لأبشالوم من مشورة شريرة.

✠ ✠ ✠

٨ - وكان من مشورة أختوفل لأبشالوم: أدخل إلى سرارى أبيك اللواتى تركهن لحفظ البيت.. (٢صم ١٦: ٢٠ ، ٢١).

وذلك لكى يعرف الشعب أنه قد صار مكروهاً من أبيه. فيتشدد الذين معه.. وفعل أبشالوم ذلك.

وكان عاراً وحزناً لداود أن يسمع أن ابنه يزنى مع سرارى أبيه.. وكانت عقوبة بسماع من الله وجزءاً من آلام داود، أو كانت بعضاً من التخلّى الجزئى الذى تعرض له..

✠ ✠ ✠

❖ العجيب أن الرب مع كثرة عقوباته لداود، مزجها أخيراً بلمسة حنان من عنده، وهو الذى "يجرح ويعصب يسحق ويداه تشفيان" (أى ٥: ١٨).

❖ سمح بأن حوشاى الأركى أحد أصحاب داود المخلصين له، أن ينضم بخطة منه - إلى معسكر أبشالوم، لكى يبطل مشورة أختوفل (٢صم ١٥: ٣٣ ، ٣٤). وحدث ذلك فعلاً. وقدم أختوفل مشورة يمكن أن تهلك داود ورجاله. وقدم حوشاى مشورة أخرى. فى ظاهرها اعتبرها أبشالوم نافعة له، ولكنها كانت لإنقاذ داود. "وقال أبشالوم وكل رجال إسرائيل إن مشورة حوشاى الأركى أحسن من مشورة أختوفل" "فإن الرب أمر بإبطال مشورة أختوفل" (٢صم ١٧: ١٤).

❖ حدث أيضاً أن أختوفل، لما رأى مشورته لم يعمل بها "قام وأنطلق إلى بيته إلى

مدينته، وأوصى لبيته وخنق نفسه، ومات ودفن" (٢صم ١٧ : ٣). وهكذا كانت نهاية ذلك الخائن، مثال ما فعل يهوذا بنفسه.

❖ ❖ ❖

❖ من عطف الله أيضاً على داود، أنه انتصر في حرب أبشالوم ضده. ومات أبشالوم. واشترك يوباب في مقتله (٢صم ١٤).

وبكى داود على أبشالوم. وقال "يا ابني أبشالوم. ليتني مت عوضاً عنك يا أبشالوم ابني" (٢صم ١٨ : ٣٢).

بكى عليه داود من أجل حنان قلبه، وعمق عاطفة الأبوة عنده.. وبكى عليه أيضاً، لأنه عارف أن يد الله داخلة في الموضوع. فلو لا أن يد الرب كانت عليه، ما كان قد سمح أن أبشالوم يقف ضده، وكذلك شمعي بن جيرا، وأخيتوفل.

❖ ❖ ❖

المهم أن هذه المرحلة انتهت. وأتى الكل فاعتذروا إليه بعد مقتل أبشالوم.. كلهم بما فيهم شمعي بن جيرا، ومفبوشث بن شاول، وعبد صيبا. ولم يسمح داود بمعاينة أحد منهم كما أشار بعض رجاله عليه. وقال "هل اليوم يُقتل أحد في إسرائيل؟! أما علمت أنني اليوم ملك على إسرائيل!!" (٢صم ١٩ : ٢٢).

❖ ❖ ❖

٩- على أنه قامت حروب ومشاكل أخرى ضد داود في أواخر أيامه.

❖ ومن المشاكل أن شبع بن بكرى رجل بنياميني، قام ضد داود وضرب بالبوق وقال "ليس لنا قسم في داود، ولا لنا نصيب في ابن يسي. كل رجل إلى خيمته يا إسرائيل" (٢صم ٢٢ : ١). فصعد وراءه كل رجال إسرائيل...

❖ وانتهت مشكلة هذا الرجل بأنه حوَّص في آيل بواسطة يوباب قائد الجيش. وبتدخل امرأة حكيمة انتهى الحصار بإلقاء رأس شبع بن بكرى من على السور. فضرب يوباب بالبوق، وانتهى الحصار.

❖ ❖ ❖

❖ ومن المشاكل أيضاً جوع ثلاث سنوات بسبب مشكلة الجبعونيين وما كان قد فعله بهم شاول الملك. وانتهى الأمر - في مصالحتهم - أن قدم لهم داود سبعة من أسرة شاول فصلبوهم. وكان منهم الخمسة الذين ولدتهم ميكال لعدرئيل بن برزلاي الذي زوجها له في حياة داود (٢صم ٢١ : ١ - ٩).

❖ كذلك قامت بعض حروب صغيرة وانتهت (٢صم ٢١: ١٥ - ٢١).

❖ ❖ ❖

١٠ - نقطة أخرى في التخلي، هي ضعفه جسدياً.

حتى إحدى تلك الحروب الصغيرة، خرج داود إلى الحرب مع عبيده. فأصابه الإعياء. وكاد أحد الأعداء أن يقتله، لولا أن تدخل ابيشاي بن صرويه فأنقذه. "حينئذ حلف رجال داود قائلين: لا تخرج أيضاً معنا إلى الحرب. ولا تطفئ سراج إسرائيل" (٢صم ٢١: ١٥ - ١٧).

انتهت الأيام التي قيل عنه فيها من صغره إنه "جبار بأس، ورجل حرب" (١صم ١٦: ١٨).

الأيام التي قتل فيها الأسد والدب لينقذ شاة له (١صم ١٧: ٣٤ - ٣٦). والتي قتل فيها جليات الجبار وقطع رأسه (١صم ١٧: ٥١). وانتهت الأيام التي استطاع فيها مع رجاله أن يقتل مئتي رجل من الغلف، ليقدم بذلك مهراً في زواجه من ميكال ابنة الملك (١صم ١٨: ٢٧).

الآن أصابه الإعياء، فسقط في الحرب وكاد يموت!!

نقاط ضعف

وكما ضعف داود في جسده، كانت له نقاط ضعف أخرى، من جهة نفسيته، وضعفه في اتخاذ قرار قوي حازم. ولهذا أمثلة.

❖ لقد ضعف أمام ابنه أمنون. فلم يأخذ موقفاً ضده حينما اغتصب أخته ثامار (٢صم ١٣). وبذلك ترك الفرصة لأبشالوم لكي ينتقم لأخته ويقتل أمنون.

❖ ضعف أيضاً أمام أبشالوم لما قتل أمنون أخاه، ولم يأخذ موقفاً حازماً منه. كذلك ضعف أمام أبشالوم لما بدأ يعصاه، ولما أخذ لنفسه خيلاً ومركبات. ولما أثار الشعب وأقام حرباً ضده.

أخيراً كان لابد أن يخوض الحرب حفاظاً على ملكه. ولكنه مع ذلك قال لرجاله في الحرب "ترفقوا بالفتى أبشالوم" (٢صم ١٨: ٥).

❖ ❖ ❖

❖ ضعف داود كثيراً أمام يואب بن صرويه رئيس الجيش.

ضعف أمامه لما قتل أبنير رئيس جيش إسرائيل. وقال لعبيده: ألا تعلمون أن رئيساً

ضربه، بعد أن أتم الخطيئة، ونفذ غرضه! للأسف، أحياناً يأتي تأنيب الضمير متأخراً بعد فوات الفرصة. يلقي عليه الشيطان ضباباً، فلا يفيق إلا بعد أن يخطئ! على أية الحالات حسن أن يفيق الضمير ولو متأخراً، أفضل من أنه لا يفيق على الإطلاق.

وهكذا قال داود للرب "لقد أخطأت جداً في ما فعلت" "قد انحملت جداً" (٢صم ٢٤: ١٠) "إني قد سفهت جداً" (١أى ٢١: ٨). وقال للرب "والآن يارب، أزل إثم عبدك".

✠ ✠ ✠

والله كان مستعداً أن يزيل إثم داود، ولكن مع عقوبة.

أحياناً المغفرة بدون عقوبة، لا تشعر الخاطئ بمقدار عمق خطيئته. وهذه مرة أخرى يعاقب فيها الرب داود عبده.. حتى في المرة السابقة - لما اعترف بخطيئته - قال له ناثان النبي "والرب نقل عنك خطيئتك. لا تموت" (٢صم ١٢: ١٣). ومع ذلك بقيت العقوبة الأرضية..

وأرسل الرب جاد النبي يخيره بين ثلاث عقوبات: إما سبع سنين جوع في أرضه، أو يهرب ثلاثة أشهر أمام أعدائه، أو يكون ثلاثة أيام وبأ في الأرض. فقال داود لجاد النبي عبارته المشهورة "قد ضاق بي الأمر جداً. أقع في يد الله - لأن مراحمه كثيرة - ولا أقع في يد إنسان" (٢صم ٢٤: ١٤).

وأمر الرب فوق وباء فأهلك من إسرائيل سبعين ألفاً.

وصرخ داود إلى الرب "ها أنا أخطأت وأنا أذنبت. وأما هؤلاء الخراف فماذا فعلوا. لتكن يدك على وعلى بيت أبي".

كان ملاك الرب باسطاً يده على أورشليم ليهلكها. فقال له الرب "كفى الآن رد يدك" (٢صم ٢٤: ١٦). كان الرب قد سمع صرخة داود فاستجاب له، حتى وهو في حالة خطية!

✠ ✠ ✠

وكان الملاك واقفاً عند بيدر أرونة اليبوسى حيث عزم داود أن يقيم مذبحاً للرب ويصعد محرقات للرب لتكف الضربة عن الشعب...

وأراد أن يشتري البيدر، فقال له أرونة اليبوسى "ليأخذه سيدى الملك: البقر للمحرقة، والنوارج وأدوات البقر حطباً. لك أعطيت الكل. ولكن داود في حكمته قال "لا. بل اشتريه منك. لأنى لا أستطيع أن أصعد للرب محرقة مجانية" (٢صم ٢٤: ٢٢ - ٢٤).

وانتهت قصة عدّ الشعب: خطيئتها وعقوبتها، وتوبتها ومغفرتها.. ولكنها تركت لنا بعضاً من الذكريات والتأملات.

- ١ - أن كل إنسان معرض للخطية مهما بلغت قداسته.
- ٢ - أن النفوس البارة الحساسة، إذا أخطأت ترجع إلى ذاتها وتتوب بسرعة.
- ٣ - أن الله يمكن أن يغفر، ومع ذلك يعاقب.
- ٤ - أن الله فى وسط عقوبته، يحنّ ولا يكملها.
- ٥ - أننا لا نقدم للرب ذبيحة مجانية.
- ٦ - إن الوقوع فى يد الله أخف من الوقوع فى أيدى البشر.

الإعداد لبناء الهيكل

كان داود يريد أن يبنى بيتاً للرب، والرب لم يسمح له.

قال داود الملك لנathan النبي "أنظر إني ساكن فى بيت من أرز، وتابوت الله ساكن فى شقق" (٢صم ٧: ٢). وعرض Nathan الأمر على الله، فأعطاه رسالة يبلغها لداود وهى: "متى كملت أيامك وأضطجعت مع آبائك، أقيم بعدك نسلك الذى يخرج من أحشائك وأثبت مملكته [لم يكن سليمان قد ولد وقتذاك]. هو يبنى بيتاً لأسمى. وأنا أثبت كرسي مملكته إلى الأبد. أنا أكون له أباً، وهو يكون لى إبناً. إن تعوّج أؤدبه بقضيب الإنسان. ولكن لا أنزع رحمته منه" (٢صم ٧: ١٢-١٥).



وداود لم يحزن لأن الرب منعه من بناء بيته بل شكر الرب.

كانت نظرته موضوعية وليست شخصية. وكانت محبته لذلك الابن أكثر من محبته لنفسه. فقال للرب "من أنا يا سيد الرب، وما هو بيتى حتى أرسلتنى إلى هنا.. قد عظمت أيها السيد الرب الإله، لأنه ليس مثلك وليس إله غيرك.. والآن أيها الرب الإله، أقم إلى الأبد الكلام الذى تكلمت به عن عبدك وعن بيته. وافعل كما تكلمت" (٢صم ٧: ١٨-٢٥).



❖ ولم يكتفِ داود بهذا بل فيما بعد أعلم سليمان بالأمر.

دعاه، وأوصاه أن يبنى بيتاً للرب وقال له "يا ابنى، قد كان فى قلبى أن أبني بيتاً لاسم الرب إلهى. فكان إلى كلام الرب قائلاً: قد سفكت دماً كثيراً، وعملت حروباً عظيمة. فلا تبني بيتاً لإسمى، لأنك سفكت دماء كثيرة على الأرض أمامى. هوذا يولد لك ابن يكون

صاحب راحة، وأريحه من جميع أعدائه حواليه. لأن اسمه يكون سليمان.. هو يبني بيتاً لاسمى. وهو يكون لى ابناً، وأكون له أباً.. الآن يا ابني يكون الرب معك، فتفتح وتبنى بيت الرب.. (أى ٢٢: ٦ - ١١).

✱ ✱ ✱

✧ وبالإضافة إلى هذا أعدّ داود كل ما يلزم للبيت:

فقال لسليمان "وهأنذا فى مذلتى هيأت لبيت الرب ذهباً مئة ألف وزنة، وفضة ألف ألف وزنة، ونحاساً وحديدأ بلا وزن لأنه كثير. وقد هيأت خشباً وحجارة فتزيد عليها. وعندك كثير من عاملى الشغل نحائين وبنائين ونجارين وكل حكيم فى كل عمل.. قم واعمل وليكن الرب معك". وأمر داود جميع رؤساء إسرائيل أن يساعدوا سليمان ابنه (أى ٢٢: ١٤ - ١٧).

✱ ✱ ✱

✧ ولم يكتف بهذا، بل دعا الشعب إلى الانتداب (إلى التبرع).

"وفرّح الشعب بانتدابهم. لأنهم بقلب كامل انتدبوا للرب. وداود الملك أيضاً فرحاً عظيماً. وبارك الرب.. (أى ٢٩: ٩، ١٠).

قال "من أنا وشعبى حتى ننتدب هكذا. لأن منك الجميع، ومن يدك أعطيناك.. أيها الرب إلهنا، كل هذه الثروة التى هيأناها لبنى لك بيتاً لاسم قدسك، إنما هى من يدك ولك الكل" (أى ٢٩: ١٤ - ١٦).

✧ وأمر داود فذبحت ذبائح ومحرقات للرب :

ذبحوا فى ذلك اليوم ألف ثور، وألف كبش، وألف خروف.. وذبائح كثيرة. وأكلوا وشربوا أمام الرب بفرح عظيم.

تعيين سليمان ملكاً

كان داود قد شاخ، وفقد جسده حرارته .

مع أنه كان لم يبلغ السبعين بعد. إذ قد مات فى سن السبعين "وكانوا يدثرونه بالثياب فلم يدفأ. فاخترأوا حاضنة للملك تعطيه دفأ فى جسده، هى أبيشج الشونمية. وكانت تخدمه ولم يعرفها، مع أنها كانت تعتبر زوجة له (امل ١: ١ - ٤).

✱ ✱ ✱

وانتهز أدونيا بن جحيث شيخوخة أبيه فأعلن نفسه ملكاً.

قال أنا أملك. وأعد لنفسه عجلات وفرساناً وخمسين رجلاً يجرون أمامه. ولم يغضبه

أبوه قط قاتلاً لماذا فعلت هذا (١مل ١: ٥ - ٦) وأعانه على ذلك يوأب، وأبياثار الكاهن. وذبح ذبائح كثيرة. ودعا جميع أخوته بنى الملك وجميع رجال يهوذا...

ولم يسترح لهذا ناثان النبي، ولا بنيياهو بن يهوياذاق القائد، ولا صادق الكاهن. وتم الاتفاق مع بثشبع أم سليمان أن تدخل إلى الملك وتخبره بأن أدونيا أعلن نفسه ملكاً، وهو لا يدري.

ودخلت بثشبع عند داود، وقد شاخ جداً، وسجدت أمامه وقالت له "أنت يا سيدى الملك حلفت لأمتك بالرب إلهك أن سليمان ابنك يملك بعدى ويجلس على كرسى. والآن هوذا أدونيا قد ملك وأنت يا سيدى الملك لا تعلم". وبعد بثشبع دخل ناثان النبي وصادوق الكاهن وسجدا للملك، وصدقا على كلامها.

فحلف داود الملك لبثشبع أنه ينفذ وعده لها اليوم.

✱ ✱ ✱

كان داود قد شاخ، ولكن عزيمته لم تشخ.

فأمر ناثان النبي وصادوق الكاهن وبنيياهو بن يهوياذاق أن يأخذوا سليمان، ويركبوه على بغلة أبيه، ويمسحه صادق الكاهن فى جيحون. فمسحوه ملكاً وعادوا فأجلسه داود النبى على كرسيه. وقال داود "مبارك الرب إله إسرائيل الذى أعطانى اليوم من يجلس على كرسى، وعيناي تبصران" (١مل ١: ٤٨). وخاف أنصار أدونيا وهربوا. وخاف أدونيا وأمسك بقرون المذبح...

✱ ✱ ✱

وأوصى داود سليمان ابنه قاتلاً.

"أنا ماضٍ فى طريق الأرض كلها. فتشدد وتشجع وكن رجلاً واحفظ شرائع الرب إلهك" (١مل ٢: ١، ٢). وأوصاه من جهة يوأب بن صرويه أن لا تنزل شيبته إلى الهاوية بسلام. لأنه سفك دماً بريئاً: دم أبير، ودم عماسا. ونفس الوصية بالنسبة إلى شمعى بن جيرا. وترك الأمر لحكمة سليمان.

وهنا لعنا نعجب: لماذا أمر داود بقتل هذين؟

داود كشخص كان يمكن أن يغفر لمن أخطأ إليه.

لكنه كملك كان ينبغى أن ينفذ شريعة الله فى المخطئين.

وما لم يفعله فى حياته، أوصى به عند موته.

كلمات خالدة

كلماته الخالدة لا تحصى، ننتقى منها الآتى :

❖ "الحرب للرب" (اصم ١٧ : ٤٧).

قالها وهو يتقدم لمحاربة جليات، معتمداً على قوة الله وحده .

❖ ❖ ❖

❖ أقع فى يد الله - لأن مراحمه واسعة - ولا أقع فى يد إنسان (اصم ٢٤ : ١٤)

قالها لما عرض عليه جاد الرائي ثلاث عقوبات من الله، بعد أن عدّ الشعب.

❖ ❖ ❖

❖ لا أستطيع أن أقدم للرب محرقة مجانية (اصم ٢٤ : ٢٤).

قالها لأرونه اليبوسى، حينما أراد أن يقدم له الذبائح هبه.

❖ ❖ ❖

❖ منك الجميع، ومن يدك أعطيناك (أى ٢٩ : ١٤).

قالها للرب لما تبرع هو وشعبه لبناء الهيكل.

❖ ❖ ❖

❖ لا أشرب دم هؤلاء الرجال الذين خاطروا بحياتهم (اصم ٢٢ : ١٧). قالها حينما

رفض شرب ماء أحضره الأبطال بكسر حصار العدو.

البَاب السَّابِع

مزامير دَاوُدَ النَّبِيِّ

دَاوُد

مزامير داود يمكن أن توضع فيها كتب. يكفي أنها :
صدرت من شخصية داود الروحية، التي امتدحها الرب .
فقال عنه " وجدت داود بن يسي رجلاً حسب قلبي، يصنع كل مشيئتي " (أع ١٣ : ٢٢).
ولما سقط سليمان بن داود إذ أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى، قال عنه الكتاب " لم
يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه، كقلب داود أبيه " (امل ١١ : ٤) .
صاحب هذا القلب الكامل، هو الذي كتب المزامير، من كل قلبه (مز ١١٩ : ١٠) ..
حقاً كانت لداود أخطاء. ولكنه كان يحب الله على الرغم من أخطائه. وكان من النوع
الذي إذا سقط، ما أسرع أن يقوم. وإذا أخطأ، يتوب بكل انسحاق قلب .



مزامير تمثل الحياة كلها، بكل ما فيها من مشاعر .
وتمثل الحياة بما فيها من ظروف ومن أحداث .. كل إنسان يجد فيها مرآة تعطي
صورة لحياته ...

ومزامير داود هي موسيقى وغناء ...

موسيقى وغناء

كان داود موسيقاراً، يعزف صلواته بالمزمار، وبالقيثار (مز ٨) وبالعشرة أوتار (مز ٦،
٥٤). وكان يحسن الضرب بالعود (اصم ١٦ : ١٧، ١٨)، ويعزف على نوات النفخ
(مز ٥).

وأحياناً كان يغنى مزاميره، ومعه فرقة موسيقية كبيرة من عشرات الموسيقيين يقودهم
هيمن أو آساف. وحينما يريد أن يغير النغمة، يقول (سلاه). فيتوقف العزف ثم يبدأ من
جديد..



تصوروا إنساناً يصلى وهو يغنى، أو يغنى وهو يصلى.

صلاة بكل مشاعره، ممتزجة بهزات عود، وبهزات قلبه. بل هو يدعو الناس ويقول "سبحوا الرب تسبيحاً جديداً" وفي بعض الترجمات "غنوا للرب أغنية جديدة" أو "رنموا للرب ترنيمة جديدة". (مز ٩٦: ١) (مز ٩٨: ١) أو يقول "غنوا للرب ترنيمة جديدة" (مز ١٤٩: ١). "غنوا له، رنموا له، انشدوا بكل عجائبه" (مز ١٠٥: ٢).

ويقول في موسيقاه "احمدوا الرب بالعود، بربابة ذات عشرة أوتار. رنموا له. غنوا له أغنية جديدة. احسنوا العزف بهتاف. لأن كلمة الرب مستقيمة" (مز ٣٣: ٢-٤) ... "غنوا لله، رنموا لاسمه" (مز ٦٨: ٤) "يا ممالك الأرض، غنوا لله، رنموا" (مز ٦٨: ٣٣) "اهتفى للرب يا كل الأرض. اهتفوا ورنموا وغنوا" (مز ٩٨: ٤).

إنه إنسان يغنى، ويدعو كل الناس أن يغنوا معه .

وهو فى كل ذلك يغنى للرب، ويدعوهم أن يغنوا للرب .. كل مشاعره يقدمها للرب. وعندما رقص أمام تابوت العهد، قيل عنه إنه " رقص أمام الرب " (٢صم ٦: ١٦) .

✱ ✱ ✱

إنه يعطينا فكرة عن الصلاة التى بلحن .

لها تأثيرها بلاشك. وهكذا صلاة القداى عندنا بلحن. وكذلك الإبصلمودية (التسبحة) هى بلحن أيضاً. وقراءة الإنجيل ملحنة كذلك. وما أكثر الألحان فى كنيستنا وفى كل الكنائس، وكذلك التراتيل والترانيم. كلها لها موسيقى وألحان .
وقديماً كانت مزامير داود كلها ترتلها الكنيسة باللحن، كما فى هوسات التسبحة (مز ١٤٨، ١٤٩). ما أعظم تأثير الصلاة المصاحبة بلحن أو موسيقى .

مَزَامِير دَاوُد

هى جزء من كتاب الله، من وحيه، من كلام الله .

لذلك عندما أفحم الرب كتبة اليهود بقول المزمور "قال الرب لربى: أجلس عن يمينى، حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك" (مز ١١٠: ١)، وهذه نبوءة عن السيد المسيح، قال لهم عن ذلك "إن داود نفسه قال بالروح القدس " (مر ١٢: ٣٦، ٣٧) .

لذلك حينما نصلى بالمزامير، إنما نخاطب الله بالكلام الذى أوحى الله به .

وبهذا نثق أن صلواتنا تكون حسب مشيئة الله، لأن المزامير قيلت بالروح القدس،

بروح الله ...

✱ ✱ ✱

وقد استخدمت المزامير فى الصلاة العامة، فى العهد القديم كما فى العهد الجديد.
ولذلك حفظ المصلون الكثير منها .

ففى العهد القديم، كانوا يرتلون المزامير وهم صاعدون إلى الهيكل ليصلوا، لكى
يمهدوا عقولهم للصلاة بترتيل المزامير، كما يفرش الكاهن المذبح، قبل الصلاة عليه.
وكانت تلك المزامير تسمى (مزامير المصاعد) كما فى المزامير من ١٢٠ إلى ١٣٤ .
وفى زمن الآباء الرسل، كانوا يصلون المزامير فى الكنائس.

فالقديس بولس الرسول يقول "متى اجتمعتم فكل واحد له مزمور.." (١كو ١٤ : ٢٦).
ويقول أيضاً "بمزامير وتسابيح وأغاني روحية مترنمين ومرتلين فى قلوبكم للرب" (أف ٥ :
١٩). ويكرر نفس الكلام فى (كو ٣ : ١٦) .

وحينما كان بولس الرسول فى أنطاكية بيسيدية يكرز بالسيد المسيح، استخدم نبوءتين
فى المزامير عن السيد المسيح، فقال "كما هو مكتوب فى المزمور الثانى : أنت ابنى، أنا
اليوم ولدتك .. وفى مزمور آخر (مز ١٦ : ١٠) لن تدع قدوسك يرى فساداً " (أع ١٣ : ٣٣
، ٣٥) .

والقديس بطرس فى يوم الخمسين استخدم نبوءة فى المزامير عن يهوذا الأسخريوطى،
فقال " لأنه مكتوب فى المزامير : لتصر داره خراباً، ولا يكن فيها ساكن، وليأخذ وظيفته
آخر " (أع ١ : ٢٠) (مز ٦٩ : ٢٥) (مز ١٠٩ : ٨) .

✱ ✱ ✱

والسيد المسيح استشهد بالمزامير، وذكر أنها تنبأت عنه .

وهكذا عندما ظهر للتلاميذ بعد القيامة، قال لهم : " إنه لابد أن يتم جميع ما هو مكتوب
عنى فى ناموس موسى والأنبياء والمزامير " (لو ٢٤ : ٤٤) ...

إن نبوءات المزامير عن السيد المسيح كثيرة جداً. وكمثال لها المزمور ٢٢ الذى
تحدث عن آلامه. وقال فيه داود عن المسيح "تقبوا يدي ورجلي، وأحصوا كل عظامى ..
يقسمون ثيابى بينهم، وعلى قميصى يقتربون " (مز ٢٢ : ١٦ - ١٨) .

وما أسهل تتبع ما ورد من نبوات عن المسيح فى كتاب المزامير، نرتل كثيراً منها
فى أسبوع الآلام (البصخة المقدسة) .

✱ ✱ ✱

المزامير لا يستغنى إنسان عنها فى صلواته، مهما ارتفعت روحياته .
وفى أصلها كانت شعراً، وكانت تصحبها الموسيقى، كما ورد فى مزمور ١٥٠
"سبحوا الله فى قدسه.. سبحوه على كثرة عظمته.. سبحوه برباب وعود، سبحوه بدف
ورقص، سبحوه بأوتار ومزمار.. سبحوه بصنوج الهتاف..". وفى مزمور ١٤٩ يقول
"سبحوا بدف وعود " .

موضوعات المزامير كثيرة جداً. ولنبدأ بما فيها عن الصلاة :

✱ ✱ ✱

الصلاة

داود فى مزاميره، يقدم لنا مثلاً للصلاة فى كل وقت .
فهو يصلى "عشية وباكراً ووقت الظهر، ويقول الله عن صلاة باكراً " باكراً يارب تسمع
صوتى. باكراً أقف أمامك وترانى " (مز ٥). وفى بعض الترجمات (بالغداة). ولكنها فى
الترجمة الإنجليزية in the morning. وعلى أية الحالات ما أجمل قوله :
"يا الله أنت إلهى. إليك أبكر. عطشت نفسى إليك" (مز ٦٣ : ١).
هذا العطش إلى الله، يعنى الشوق إليه. وهذا ما يكرره أيضاً فى مزمور ٤٢ فيقول :
"كما يشاق الإيل إلى جداول المياه، هكذا تشاق نفسى إليك يا الله. عطشت نفسى إلى الله،
إلى الإله الحى. متى أجى وأترأى قدام الله .. " .
إنها صلاة مشاعر، وليست مجرد واجب يؤديه، بل إنه يقول للرب فى صلاته، ويقول
عن صلاته : " هكذا أباركك فى حياتى. باسمك ارفع يديّ، فتشبع نفسى كما من لحم
ودسم. بشفاه الابتهاج يسبحك فمى " (مز ٦٣ : ٤ ، ٥) .

✱ ✱ ✱

وداود فى مزاميره : كما يبدأ اليوم بالصلاة، يستمر يومه فى الصلاة ... ويقول للرب
فى ذلك :

" سبع مرات فى النهار، سبحتك على أحكام عدلك " (مز ١١٩ : ١٦٤) .

فهل تكفيه هذه المرات السبع فى النهار، التى ترمز إلى كل النهار، بل إنه يقول أيضاً
"ذكرت فى الليل اسمك يارب، وحفظت شريعتك" (مز ١١٩ : ٥٥). فهل يذكره فى الليل،
ثم يذهب لينام. كلا، بل إنه يقول " كنت أذكرك على فراشى، وفى أوقات الأسحار كنت
أرتل لك " (مز ٦٣) كلمة الأسحار تعنى الفجر. فهل كان ينام حتى الفجر (السحر) ثم يقوم

ليصلى؟ كلا، بل إنه يقول "سبقت عيناى وقت السحر (مز ١١٩ : ١٤٨). أكان إذن يقوم قبل الفجر؟ بل قبل ذلك إذ يقول :

"فى نصف الليل نهضت لأشكرك على أحكام عدلك " (مز ١١٩ : ٦٢) .

✱ ✱ ✱

متى إذن كان ينام داود ؟ وهو يقول إنه كان يصلى فى الليل، وعلى فراشه، وفى وقت الفجر، وقبل الفجر، وفى نصف الليل..

وإن كان هكذا طول الليل شعبان صلاة، فكيف يقول إذن للرب "..<إليك أبكر. عطشت نفسى إليك. باكراً تسمع صوتى. متى أقف وأترأى أمام الرب ؟ إنه بلاشك درس فى الصلاة، وفى التسبيح والاشتياق إلى الله .

✱ ✱ ✱

وهو ليس فقط يصلى ويسبح، بل يدعو الكل إلى الصلاة والتسبيح . فهو يقول " سبحوا الرب أيها الفتيان، سبحوا اسم الرب.. من مشارق الشمس إلى مغاربها، باركوا اسم الرب" (مز ١١٣ : ١ - ٣) "ها باركوا الرب يا عبيد الرب، القائمين فى بيت الرب، فى ديار إلها. فى الليالى ارفعوا أيديكم أيها القديسون وباركوا الرب.." (مز ١٣٤ : ١ ، ٢) .

بل هو يدعو جميع خليفة الله الناطقة، وجميع الملائكة، إلى التسبيح . فيقول : باركوا الرب يا ملائكته، المقتدرين قوة، الفاعلين أمره عند سماع صوت كلامه. باركوا الرب يا جميع جنوده العاملين مرضاته. باركوا الرب يا جميع أعماله، فى كل مواضع سلطانه. باركى يا نفسى الرب" (مز ١٠٣ : ٢٠ - ٢٢) .

✱ ✱ ✱

بل هو يدعو الطبيعة الجامدة غير الناطقة أن تسبح الرب أيضاً فيقول: سبحوا الرب من السموات، سبحوه فى الأعالي.. سبحيه يا أيتها الشمس والقمر. سبحيه يا جميع كواكب النور. سبحيه يا سماء السموات، ويا أيتها المياه التى فوق السموات.. سبحى الرب من الأرض يا أيتها التنانين وكل اللجج، النار والبرد، الثلج والضباب.. الريح العاصفة الصانعة كلمته. الجبال وكل الآكام. الشجر المثمر وكل الأرض.." (مز ١٤٨ : ١ - ٩).

مجرد وجود الطبيعة، يعطى تسبحة للرب. كما قال : "السموات تحدث بمجد الله،

والفلك يخبر بعمل يديه" (مز ١٩ : ١) .

✱ ✱ ✱

وجود هذه الطبيعة، وجمالها، ونظام عملها، يعطى فكرة عن قدرة الله، ويقود إلى تسبيحه. فكان الطبيعة تسبحه بطريقة غير مباشرة. وداود النبي يدعوها إلى الاشتراك في هذه السيمفونية العجيبة التي تسبح الرب، يشترك في ذلك الملائكة والبشر، وكل خليفة الله غير الناطقة، بل والطبيعة الجامدة أيضاً .

من حب داود الله، يدعو كل الخليفة إلى الاشتراك معه في تسبيحه .
وهو يجعل كل ذلك مجالاً لتأمله ...

التأمل

فهو يقول عن الشمس مثلاً "جعل في الشمس مظلمته. وهي مثل العروس الخارج من خدره. تتهلل مثل الجبار الذي يسرع في طريقه. من أقصى السماء خروجها، ومنتهاها إلى أقصى السماء، ولاشئ يختفى من حرارتها " (مز ١٩) .

وهو يتأمل هذه الأجرام السماوية في تمجيدها لله بعملها. فيقول " يوم إلى يوم يبدى قولاً. وليل إلى ليل يظهر علماً. الذين لا قول لهم ولا كلام، ولا تسمع أصواتهم، في الأرض خرج منطقهم، وإلى أقطار المسكونة بلغت أقوالهم " (مز ١٩). ولعل في هذه العبارات الأخيرة من مزمور يتتبا على الآباء الرسل تلاميذ المسيح، الذين لم يكونوا أصحاب كلام، ومع ذلك إلى أقطار المسكونة بلغت أقوالهم..

وهو يرى بتأمله عجباً في خليفة الله، يقول في المزمور الثامن " أيها الرب ربنا، ما أعجب اسمك في الأرض كلها.. لأنى أرى السموات أعمال أصابعك، القمر والنجوم أنت أسستها. من هو الإنسان حتى تذكره؟ .. على أعمال يديك أقمته. أخضعت كل شئ تحت قدميه .. أيها الرب ربنا، ما أعجب اسمك على الأرض كلها".

الخشوع

محبة داود لله، وعطشه إليه، يمتزج أيضاً بخشوعه ،

فيقول : "أما أنا فبكثرة رحمتك، أدخل إلى بيتك، وأسجد قدام قدسك بمخافتك" (مز ٥:

٧). وهو هنا يعترف بعدم استحقاقه الدخول إلى بيت الرب. إنما هي رحمة الله التي سمحت له بذلك. لذلك يدخل في مخافة، ويسجد أمام الرب خاشعاً .

وهو فى خشوعه، يدعو الناس أيضاً إلى هذا الخشوع، وكذلك الطبيعة .
فيقول " الرب قد ملك، فلترتعد الشعوب. الجالس على الشاروبيم فتزلزل الأرض ..
اسجدوا لموطئ قدميه فإنه قدوس ... مرهوب وقدوس " (مز ٩٩) .. "اسجدوا لله يا جميع
ملائكته" نظرت الأرض فتزلزلت. ذابت الجبال مثل الشمع من قدام وجه الرب، ومن
قدام وجه سيد الرب كلها" (مز ٩٧) .
وهو يصرخ ويقول "اسجدوا للرب فى دياره المقدسة" (مز ٩٥).

الشعور بالإستجابة

داود فى مزاميره، فيما هو يطلب، يشعر باستجابة الرب له، بل يتغنى أحياناً بهذه
الإستجابة .

✠ فهو يقول فى المزمور الثالث "بصوتى إلى الرب صرخت، فاستجاب لى من جبل
قدس". وتتكرر عبارة الإستجابة فى مزاميره.

فيقول فى المزمور الرابع "إذ دعوت، استجبت لى يا إله برى. فى الشدة فرجت عنى"
"الرب قد جعل صفته عجباً. الرب يستجيب لى إذا ما صرخت إليه". ويتغنى بهذه
الإستجابة فى نفس المزمور فيقول "قد أضاء علينا نور وجهك يارب . أعطيت سروراً
لقلبى".

✠ ويقول أيضاً فى مز ١١٧ (١١٨) "فى ضيقتى صرخت إلى الرب فاستجاب لى،
وأخرجنى إلى الرحب".

✠ ✠ ✠

✠ وفى المزمور السادس فيما يقول " ارحمنى يارب فإنى ضعيف. اشفنى يارب، فإن
عظامى قد اضطربت، ونفسى قد أنزعجت جداً " .. يشعر فى نفس المزمور بالإستجابة،
فيقول فى آخره " ابعدوا عنى يا جميع فاعلى الإثم. لأن الرب قد سمع بكائى. الرب سمع
تضرعى. الرب لصلاتى قبل". ويفرح بهذا كأنه قد تم فعلاً، فيختم زموره بقوله " فليخز
وليضطرب جداً جميع أعدائى، وليرتدوا إلى ورائهم بالخزى سريعاً جداً. هلولوا".

✠ وفى المزمور الحادى عشر، يبدأ بصراخ إلى الرب قائلاً "خلصنى يارب فإن البار
قد فنى، وقلت الأمانة من بنى البشر" .. ثم يشعر بالإستجابة فيقول "من أجل شقاء
المساكين وتتهد البائسين، الآن أقوم - يقول الرب - أصنع الخلاص علانية .

✠ وفي المزمور الثاني عشر، يعاتب الرب قائلاً "إلى متى يارب تتسأني، إلى الإنقضاء؟! حتى متى تحجب وجهك عني.." ولكنه سرعان ما يشعر بالاستجابة، وبخلاص الرب... فيقول "أما أنا فعلى رحمتك توكلت. يبتهج قلبي بخلاصك. اسبح الرب المحسن إليّ، وارنل لإسم الرب العالی، هلولیا".

✠ ✠ ✠

✠ ما أعجب هذا، إنسان يبدأ وكأنه يشعر بالتخلي .. وينتهي إلى الإبتهاج بخلاص الرب، والتسبيح بإحسانه، والترتيل والتهليل...
✠ إنه متأكد تماماً أن أذن الرب قريبة من شفتيه، وقلب الرب يستجيب لتضرعه .. ويتغنى باستجابة الرب، فيما هو يطلب ...

✠ وفي المزمور الخامس عشر، يبدأ بقوله " احفظني يارب، فإنني عليك توكلت" .. ثم يشعر بالاستجابة فيقول " فرأيت الرب أمامي في كل حين، لأنه عن يميني لكي لا أترزعع " .

✠ إنه الإيمان القوي، الذي يشعره بأن الرب قد استجاب .

✠ والشعور بالاستجابة يرتكز على دعامة أخرى، وهي الرجاء بالرب .

الرجاء بالرب

✠ فهو يقول للرب "لا تخزني إلى الأبد، ولا تشمت بي أعدائي. لأن جميع الذين ينتظرونك لا يخزون" (مز ٢٤). " لا أخزي لأنني عليك توكلت" (مز ٢٤) ..

✠ ويقول للرب أيضاً "لا تسلمني إلى مرام مضايقي .. أنا أؤمن أن أعاين خيرات الرب في أرض الأحياء" (مز ٢٦) .

✠ وفي رجائه بالرب يقول "إني أسمع ما يتكلم به الرب. لأنه يتكلم بالسلام لشعبه ولقديسيه. خلاصه قريب من جميع خائفيه " (مز ٨٤) .

عجيبة هي عبارة "إني أسمع ما يتكلم به الرب". يسمع هذا بقلبه. وما يسمعه هو ملء الرجاء : الرب يتكلم بالسلام لشعبه .. وخلاصه قريب .

✠ ✠ ✠

✠ وله مزامير كلها رجاء، وكلها دعاء .

منها المزمور ٩٠ (٩١) الذي يقول فيه "الساكن في ستر العلى، في ظل التقدير يبني

" . كله عبارات تطمئن النفس وتملؤها رجاء . منها "تحت جناحيه تعتصم .. فلا تخشى من خوف الليل، ولا من سهم يطير فى النهار، ولا من أمر يسلك فى الظلمة، ولا من سقطة وشيطان الظهيرة. يسقط عن يسارك ألوف، وعن يمينك ربوات. وأما أنت فلا يقتربون إليك. بل بعينيك تتأمل، ومجازاة الخطاة تبصر". وأيضاً "يوصى ملائكته بك ليحفظوك فى سائر طرقك. وعلى أيديهم يحملونك. فلا تعثر بحجر رجلك".

✽ ومن مزامير الرجاء والدعاء أيضاً، المزمور ١٢٠ (١٢١)، حيث يقول :

"الرب يحفظك. الرب يظل على يدك اليمنى. فلا تخرقك الشمس بالنهار، ولا القمر بالليل. الرب يحفظك من كل سوء. الرب يحفظ نفسك. الرب يحفظ دخولك وخروجك، من الآن وإلى الأبد .

✽ ✽ ✽

✽ إن داود فى مزاميره يعتمد على الله، لا على الناس .

فيقول فى المزمور ١١٧ (١١٨) "الرب لى معين، وأنا لرى بأعدائى. الإتكال على الرب خير من الإتكال على البشر، للرجاء بالرب خير من الرجاء بالروماء .

لذلك هو - فى نفس المزمور - يتقنى بعمل الرب معه .

فيقول " قوتى وتسبحتى هو الرب، وقد صار لى خلاصاً " .

" صوت التهليل والخلاص فى مسكن الأبرار " .

" يمين الرب صنعت قوة، يمين الرب رفعتى، فلن أموت بعد بل أحياء، وأحدث بأعمال الرب" .

✽ ✽ ✽

وداود فى وسط الضيقات، يتذكر خلاص الرب .

فهو يذكر المتاعب والضيقات، ولكنه - فى رجاء - يذكر معها معونة الرب أيضاً. لذلك فهو يقول "كثيرة هى أحزان الصديقين" ولكنه يكملها بقوله " ومن جميعها ينجيهم الرب" مز ٣٣ (٣٤). وحينما يقول "على ظهري جلدنى الخطاة وأطالوا إثمهم، يكملها بقوله "الرب صديق هو يقطع أعناق الخطاة" مز ١٢٨ (١٢٩). وفيما يقول "عجيبة هى أهوال البحر"، يقول بعدها مباشرة " الرب فى الأعلى هو أقدر" مز ٩٢ (٩٣) .

مَحَبَّة لِبَيْتِ اللَّهِ

إن داود في مزاميره، يظهر محبته لبیت الله، وللمواضع المقدسة .

❖ فيقول "مساكنك محبوبة أيها الرب إله القوات. تشتاق وتذوب نفسي للدخول إلى ديار الرب. قلبي وجسمي قد أبتهاجا بالإله الحي. لأن العصفور وجد له بيتاً، واليامة عشاءً تضع فيها أفراسها، مذابحك أيها الرب إله القوات " (مز ٨٣ (٨٣) .

❖ لذلك هو يبتهج بالسكنى في بيت الرب. فيقول في نفس المزمور "طوبى لكل السكان في بيتك، يباركونك إلى الأبد" ٨٣.. (٨٤) .

❖ إن داود الملك، ساكن القصور، يقول في عجب "اخترت لنفسى أن أطرح على عتبة بيت الله، أفضل من السكنى في مظال للخطاة " " لأن يوماً صالحاً في ديارك خير من آلاف " مز ٨٣ (٨٤) .

ومما يجدر بالملاحظة أننا نستخدم الآيات التي وردت في هذا المزمور ٨٣ (٨٤) في صلوات تدشين المذبح الجديد في الكنيسة .

❖ ❖ ❖

❖ ومع أن داود كان ملكاً، وكان له غنى وفير وعظمة في مملكته، إلا أننا نراه في مزاميره، يطلب طلباً تنقصه، وهي طلبة عزيزة على قلبه، فيقول :

" واحدة طلبت من الرب وإياها ألتمس: أن أسكن في بيت الرب كل أيام حياتي " مز ٢٦ (٢٧) .

وتسأله لماذا ؟ فيقول " لكى أنظر إلى نعيم الرب، وأنفوس في هيكله " طفت وذبحت في مظلتك ذبيحة التهليل. أسبح وأرتل للرب " مز ٢٦ (٢٧) .

❖ ❖ ❖

❖ وهو يصلى إلى الرب ويقول " أرسل نورك وحقق فإنهما يهدياننى، ويصعداننى إلى جبلك المقدس، وإلى مسكنك. فأدخل إلى مذبح الله الذى يفرح شبابى. اعترف لك بالقيثارة يا الله إلهى " مز ٤٢ (٤٣) .

❖ ويقول " أسكن في مسكنك إلى الدهر، واستظل بستر جناحيك .. هكذا أرتل لإسمك إلى دهر الدهور. لأفنى نذورى يوماً فيوماً " مز ٦٠ (٦١) .

❖ ويقول أيضاً " أغسل يدي بالنقاوة، وأطوف بمذبحك يارب. لأسمع صوت

تسبحتك، وأنطق بجميع عجائبك. يارب أحببت جمال بيتك وموضع مسكن مجدك" مز ٢٥)
(٢٦).

نلاحظ أن هذه الكلمات من المزمور، نصليها أيضاً في طقس تدشين المذبح الجديد ..
كما أن الكاهن يقول "اغسل يدي بالنقاوة.." قبل أن يقدم الحمل في القداس الإلهي .

✠ ✠ ✠

✠ ومن شغف داود ببيت الله، يقول في مزاميره :

" فرحت بالقائلين لى: إلى بيت الرب نذهب " مز ١٢١ (١٢٢).

ثم يتحدث عن جمال أورشليم مدينة الله .. وهذا المزمور هو من مزامير المصاعد،
التي كانوا يرتلون فيها في العهد القديم، وهم صاعدون إلى بيت الله في أورشليم. فيتغنون في
مزامير داود ببيت الله وبالمدينة المقدسة .

✠ فيقول داود " رفعت عيني إلى الجبال من حيث يأتي عوني" مز ١٢٠ (١٢١).
ويقول أيضاً "أساساته في الجبال المقدسة. يحب الرب أبواب صهيون أكثر من جميع
مساكن يعقوب. أعمال مجيدة قد قيلت عنك يا مدينة الله " مز ٨٦ (٨٧) .

✠ ويقول أيضاً "أوفى للرب ندورى، في ديار الرب قدام كل شعبه، في وسط أورشليم"
مز ١١٥ (١١٦) .

✠ ✠ ✠

✠ وداود النبي في مزاميره، يرى أن هناك شروطاً روحية للدخول إلى ديار الرب :
✠ فيقول في المزمور ١٤ (١٥) : "يارب من يسكن في مسكنك، أو من يحل في جبل
قدسك، إلا السالك بلا عيب، الفاعل البر، المتكلم بالحق في قلبه، الذي لا يغش بلسانه، ولا
يصنع بقريبه سوءاً، ولا يقبل عاراً على جيرانه... " .

وهذا المزمور من مزامير التعليم والإرشاد .

وبنفس الإرشاد يقول في مز ٢٣ (٢٤) : "من يصعد إلى جبل الرب، أو من يقوم في
موضع قدسه: الطاهر اليدين، النقي القلب، الذي لم يحمل نفسه إلى الباطل، ولم يحلف
بالغش .. هذا هو جيل الذين يطلبون الرب، ويبتغون وجه إله يعقوب " .

وهذا المزمور أيضاً من مزامير التعليم والإرشاد .

✠ ✠ ✠

✠ ولهذا كله يقول داود للرب في مز ٩٢: ببيتك تليق القداسة يارب طول الأيام " .

ويقول أيضاً " مجارى الأنهار تفرح مدينة الله. لقد قدّس العلى مسكنه. والله وسطها
فلن تتزعزع " مز ٤٥ (٤٦) .

✠ ✠ ✠

ويرى داود فى مزاميره أن بيت الله، ينبغى أن يقابل بالإجلال والخشوع .
ويكرر نفس الكلام فى مز ٢٨ (٢٩) : اسجدوا للرب فى دار قدسه " . ويقول فى هذا
المزمور أيضاً " فى هيكله المقدس كل واحد ينطق بالمجد " . ويقول أيضاً " فلندخل إلى
مساكنه، ولنسجد فى الموضع الذى استقرت فيه قدماه " مز ١٣١ (١٣٢) .

✠ ويرى داود أن بيت الرب هو موضع للتسبيح .

فيقول " ها باركوا الرب يا عبيد الرب، القائمين فى بيت الرب، فى ديار إلهنا. فى
الليالى أرفعوا أيديكم أيها القديسون، وباركوا الرب " مز ١٣٣ (١٣٤) .

وقد اهتم داود ببناء بيت الرب .

فقال فى مز ١٣١ (١٣٢) " إني لا أدخل إلى مسكن بيتي، ولا أصعد على سرير
فراشي، ولا أعطى لعيني نوماً، ولا لأجفاني نعاساً، ولا راحة لصدغي، إلى أن أجد
موضعاً للرب ومسكناً لإله يعقوب " .

✠ ✠ ✠

✠ وهو فى مديحه نبئت الرب يقول :

" هذا هو باب الرب. والصديقون يدخلون فيه " مز ١١٧ (١١٨)

ويقول أيضاً بعدها "افتحوا لى أبواب البر، لأدخل فيها وأعترف للرب" وهاتان
العبارتان، يقولهما البطريرك الجديد فى يوم سيامته، وهو داخل إلى الكنيسة .

✠ ويقول داود أيضاً فى مدح رجال الكهنوت، خدام بيت الله (فى نفس هذا المزمور).

" كهنتك يلبسون البر، وأبرارك يبتهجون .

فهرست

صفحة

مقدمة	٥
الباب الأول :	
شخصية داود وصباه	٧
الباب الثانى :	
داود وجليات	١٧
الباب الثالث :	
داود البرئ فى بوتقة شاول	٢٥
قمة صراع شاول مع داود	٣٤
نهاية مطاردة شاول مع داود	٤٠
الباب الرابع :	
داود الملك ومحبه لأعدائه	٤٧
الباب الخامس :	
داود أخطاؤه وخطاياہ	٥٣
خطايا داود الرجل البار	٥٤
خطية لم تكمل أنقذته منها امرأة	٥٨
سقطه داود الكبرى	٦٥
الباب السادس :	
السنوات الأخيرة لداود الملك	٧١
الباب السابع :	
مزامير داود	٨٣

فصل الكتاب

بسم الآب والابن والروح القدس
الإله الواحد آمين

تقرأ في هذا الكتاب عن :

❖ شخصية داود ومواهبه
المتعددة.

❖ داود وجلديات .

❖ صراع شاول ضد داود .

نبل داود في صراعه

نبل يوناتان مع داود

نهاية شاول

❖ محبة داود لأعدائه

بكاؤه على شاول وأسرته

بكاؤه على أبنيير وأبشالوم

❖ أخطاء داود وخطاياها

العقوبة الإلهية والتخلي

❖ السنوات الأخيرة لداود

عد الشعب

إعداده لبناء الهيكل

تعيين سليمان ملكاً

❖ مزامير داود

البابا شنودة الثالث